الفصل الثالث

[بعض عوامل صلة الإنسان بالله]. وهي كما يلي:

١ ـ الإيمان بالله والمؤمنون.

٢ ـ العبادة.

٣ ـ التوكل على الله.

٤ ـ الشكر لله.

٥ ـ ذكر الله.

٦ ـ نتائج ذكر الله بلا خشوع ولا حضور قلب.

٧ ـ التوبة

٨ ـ الاستغفار

٩ ـ التقوى.

١٠ ـ حسن الظن بالله.

١١ ـ الحب المتبادل بين الله والإنسان.

١٢ ـ الدعاء والمناجاة.

١٣ ـ الخاتمة.

١ ـ الإيمان بالله والمؤمنون

١ ـ **تعريف الإيمان**: إقرار باللسان، وتصديق بالجَنَان، وعمل بالجوارح والأركان.

٢ ـ **تعريف المؤمنين**: وأحسن ما نستدل به على تعريف المؤمنين، قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ (١).

٣ ـ **حقيقة الإيمان**: إن الكلام الذي جاء في تعريف الإيمان قبل قليل نعتبره الميزان الحقيقي، الذي يوزن به إيمان الإنسان بشكله الصحيح، وإلا فإن مجرد الإدعاء لا يعبِّر عن الحقيقة أصلاً. والقرآن الكريم قد بيّن لنا هذه الحقيقة في قوله تعالى:

﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾(٢).

٤ ـ **سبب نزول هذه الآية**: إن جماعة من الأعراب أصابهم قحط ومجاعة، في أول عهد الرسالة المحمدية، فجاءوا إلى محمد رسول الله ﷺ، يمنُّون عليه أن أسلموا وآمنوا بدون حرب ولاقتال، مؤملين أن يوزع عليهم الأرزاق. وأكثروا هذا القول، حتى اتضح أنهم يتاجرون بهذا الإدعاء فنزلت آيات،

(١) سورة الحجرات. الآية / ١٥ /.

(٢) سورة الحجرات. الاية / ١٤ /. لا يَلِتْكُمْ: اي لا ينقصكم.

لتعلم الناس أن الإيمان ليس وسيلةً للرزق، ولا غايةً لجلب منافع الحياة الدنيا، بل الإيمان هو أجَلُّ من ذلك وأعظم.

فالإيمان الذي يستقر في القلب هوكجوهرة مكنونة تجعل صاحبه كأنه مَلاكُ رحمة،ورسولُ هداية، يحمل قُدْسِيَّةَ الرسالة العُلْوِيَّة السماوية، ليؤديها بصدق وإخلاص وأمانة لأهل الأرض جميعاً.

إن صاحب الإيمان يحيا في هذا الحياة عزيزاً شريفاً، لا يعرف الذل ولا الحاجة التي تهدد كرامته، لأنه يشعر بغنى النفس وقناعتها، ويفخر بهذا الشعور. كما يشعر بالقوة العادلة الرحيمة، والعزة المقتبسة من عزة الله ورسوله والمؤمنين، لا يلين بضعف، ولايخضع لمهانة، أو تحكم وتسلط.

هذه المعاني التي قصد الله سبحانه منها تعليمَ الإنسان، لكي يفهمها، ويتمثلها، هي في الحقيقة والواقع من لوازم الإيمان ومقتضياته التي يجب أن يبني عليها.

هذا درس مفيد جداً من دروس القرآن الكريم للإنسان، أنه لا يجتمع إيمان صحيح ودعوى المتاجرة به في قلب عبد مؤمن أبداً، فوجود أحدهما في القلب ينفي وجود الآخر، فكيف يكون الإنسان مؤمناً، ويسأل الناس إلحافاً ويتاجر باسم الإيمان؟! وقد اتخذ بعض الناس ادعياء الإيمان أو التدين غير السليم حيلةً يبتغون الوصول عن طريقها إلى متاع الدنيا، وصنعةً يمتهنونها وقد جعل الله العزة من صفات المؤمنين. فقال الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾(١). ومن الآثار العظيمة التي ذكرت

(١) سورة: المنافقون. الآية: /٨/.

في القرآن الكريم، لكي ينظر الإنسان فيها ويتدبر معانيها، ليستدل على وجود ربه وخالقه، وليحكم الصلة معه سبحانه وتعالى، مثل قوله عَزَّ منْ قَائلٍ: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾(١).

تُرَى ، إن هذه الآيات الكريمة وأمثالها الكثيرة التي نَزَلَتْ في القرآن الكريم تجعل الإنسان المفكر الذي ينشد الحقيقة من أجل الحقيقة على يقين تام، وتصديق لا يتطرق إليه أدنى شك ، يؤمن بأن الله العظيم موجود، ولابد من إحكام الصلة معه. ثم ترى أيضاً، أن الإنسان يرقى من درجة إلى درجة، ويرتفع من منزلة إلى أخرى حتى يصل إلى مقام القرب من ربه تبارك وتعالى، بعد أن امتلأ قلبه إيماناً وخشية. فقال العزيز الحكيم: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾(٢).

فالمؤمنون الحقيقيون إذا ما رأيتهم على غاية من العفة، وكرم النفس، والرضا والقناعة، بينما يظنهم الجاهل أنهم في غِنَىً ويسار، كما قال تعالى:

---

(١) سورة: البقرة . الآية : / ١٦٤ / .

(٢) سورة: الأنفال . الآية: / ٢ ـ ٤ / .

﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾(١).

٥ ـ ما موقف القرآن الكريم من هذه الحقيقة؟:

لما أظهر أولئك الأعراب موقفاً مزرياً، موقف من لم يَذُقْ حلاوةَ الإيمان الصحيح، وإن كانوا قد أسلموا فإن القرآن الكريم وقف منهم موقف من يرد الأباطيل ويدحضها بالحقيقة، ويكشف جليات البواطن، وخفيات الأمور، موقفاً كله صراحة ووضوح، يقول لهم: (قُلْ لَمْ تؤمنوا) . أي : قل يا محمد لهؤلاء الأعراب من الناس الذين يَدَّعُونَ الإيمان، وهو لم يدخل في قلوبهم: لم تؤمنوا. وعليكم أن تقفوا عند حدكم، ولاتتجاوزوه، وتقولوا الحقيقة، بل قولوا: أسلمنا، لأن الإسلام يظهر إعلانه باللسان، بينما الإيمان مستقره في القلب.

فالإسلام هو الدرجة الأولى التي يرتقي عليها المسلم في سلم الوصول إلى الله. وعليكم يا معشر الناس أن تقروا وتعترفوا به وتستسلموا لله، وتنقادوا بكل جوارحكم، لتنفيذ كل ما أمربه الله ورسوله والابتعاد عن كل ما نهى الله ورسوله. عن رضىً وطواعية وقناعة، بكل حرية وإرادة.

٦ـ التفاعل بين الإيمان والإسلام(٢):

تدل الآية الكريمة «وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ» دلالةً واضحة أن الإيمان الصحيح يكون مستقره في القلب؛ الذي يستشعر عظمة الله، فيخشع

(١) سورة: البقرة . الآية : / ٢٧٣ / .

(٢) «من هدى القرآن» . الشيخ محمد نمر الخطيب ص / ٧٢ / بتصرف زائد .

لجلاله وقدرته، فيلقي الله في هذا القلب نوراً وحلاوة، يفيض ذلك النور، ويشع في النفس ، ويطفح على الجوارح والأعضاء فيقودها للطاعة بعد القناعة، وينقذها من المفاسد والشرور والآثام، ويسلمها للخير والعمل الصالح. فيكون الإيمانُ في هذه الحالة قد سبق الإسلامَ، وأصبح أعظم أثراً ، فانبنى إسلامٌ على إيمان. وهذا الإيمان يحصل للإنسان بعد تفكر وتأمل، وحب ورغبة للدخول في الإسلام، بقناعة وإرادة وحرية.

وأنا أرى خير مثال على صحة هذا الكلام: الصورة التي كان عليها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم جميعاً. الفئة الأولى منهم آمنوا بقلوبهم، وعملوا بجوارهم، ثم بعد ثلاث سنوات من بدء الدعوة جهروا بإسلامهم. واعترفوا به بألسنتهم على الملأ، وفوق رؤوس الأشهاد بأنهم مسلمون.

وتارة أخرى يسبق الإسلامُ الإيمانَ؛ فينساق الناس إما: رغبةً في هذا الدين، وإما رهبةً وخوفاً بعد أن يكون قد عرض عليهم الإسلام فامتنعوا.

فترى الإنسانَ الذي أسلم يقيم شعائر الإسلام كاملة، ويتردد على المساجد، ويسعى في وجوه الخير عملاً ومشجعاً. ولكنه بعد مدة قد تطول أو تقصر تراه قد انطلق إلى إقامة كل ذلك بدافع نفسي قوي، ومحرك داخلي منبعث من إيمان قلبه الصادق، لأن العادة التي أدَّاها فترةً من الزمن قد انقلبت إلى عبادة ، يؤجر ويثاب عليها. ومن ـ هنا ـ يظهر لنا بكل وضوح أثر الإيمان في الإسلام، وأثر الإسلام في الإيمان، ويمكننا أن نقول: لقد أثر باطن القلب في إسلام الجوارح، وأثر الظاهر الطيب وأصلح ما في القلب.

٧ ـ كيف يتحقق الإيمان ؟:

لو تساءلنا في قرارة أنفسنا كيف تحقق مثل هذا الإيمان الصادق الذي

يجب أن يتحلى به المؤمن كي يصبح بحق أهلاً ليكون دائم الصلة بربه. في السراء والضراء، وفي السر والعلن، وليلتجىء إلى الله في كل حين، في منشطه ومكرهه فما عليه إلا أن يتبع النور الذي ينبثق من أحرف القرآن الكريم، ليلتمس الطرق الواضحة الجلية، ويأخذ بأسباب الوصول إلى النجاة والفوز، وهو يشعر أن الإيمان بين برديه. ومستقر بين جوانحه، يلازمه ملازمة الروح للجسد، وأن أصدق الحديث في هذا الموضوع: كتاب الله تعالى، وأن خير الهَدْيِ لهذه الصلة والغاية منها إنما هو: هَدْيُ محمد رسول الله ﷺ.

وها هو ذا القرآن الكريم يهدينا سواء السبيل، فيقول عز من قائل في كتابه العزيز: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾(١).

نجد في هذه الآية تعريفاً من الله سبحانه لعباده المؤمنين، وفيها تمييز لهم من بين العالمين، إن هؤلاء المؤمنين قد أيقنوا بوجود الله، واعتقدوا ذلك بصدق وإيمان راسخ ثم لم يشكوا في صحة هذه العقيدة، بل ثبتوا على ذلك أيَّما ثبات. ثباتاً أرسخ من صمود الجبال الراسيات الصُّمِّ الصِّلاب، وبرهنوا بدليل قاطع لا جدال فيه، وحجة راجحة رجحان العقل السليم، واضحة للعيان وضوح الشمس المشرقة في كبد السماء، أنهم يبذلون في سبيل الله، ومن أجل الصمود بجانب الحق: أموالَهم وأنفسَهم التي هي أعزُّ شيء على الإنسان في هذه الحياة الدنيا.

وليس ذلك بغريب، لأن الغاية التي ترنو إليها قلوبهم، وتهفو من أجلها

(١) سورة الحجرات. الآية: / ١٥ /.

أرواحهم، وتتزكى لها أنفسهم، وتتعلق بها أفئدتهم، وتطمئن بها قلوبهم، هي أجل وأسمى ، وأبهى وأحلى، وأقدر وأعظم من المال والأنفس والأهل والأولاد هي: محبة الله، والعمل على نيل رضاه، وإطاعة أمره واجتناب نهيه، حتى إذا ما هان كل شيء أمام هذه النظرة السامية المباركة كان الإنسان قد تسلق مدارج الرِّفْعَةِ، أو صعد درجات السمو الخلقي والنفسي، لكي يصل إلى غاية الغايات، الى الكمال المطلق، إلى الخير والحق والجمال، ليصل إلى ذات العزة والقوة والجبروت والكبرياء والعدل والإحسان والرحمة، إلى الله الملك الكبير المتعال، تباركت أسماؤه وتجلت صفاته.

شروط وصول الإنسان إلى الغاية من إيمانه: لذا: نستنتج من الآية المتقدمة قبل قليل أربعة شروط، لابد من تحقيقها، لكي يصل الإنسان إلى الغاية من إيمانه بالله تعالى وهي:

١ ـ أن يكون الإنسان مؤمناً بالله تبارك وتعالى ، ومؤمناً بنبيه محمد ﷺ.

٢ ـ أن يثبت على هذا الإيمان بصدق وإخلاص، بحيث لم يجد الشك أو أدنى ريبة إلى قلبه سبيلاً.

٣ ـ أن يضحي ـ إن اقتضى الأمر ـ بأمواله وأولاده ونفسه في سبيل الله.

٤ ـ وأن يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما.

أما الشرطان: الأول والثاني. فهما: الدعامة الأولى لبناء كيان الإيمان في القلوب.

والشرطان: الثالث والرابع هما: الثمرة المرجوة والنتيجة المؤمَّلة لمثل هذا الإيمان. فإذا ما تسلسلت هذه الصورة بشكلها الحقيقي فإننا نستطيع القول

بعد ذلك فيمن تحققت فيهم هذه الشروط بأنهم من الصادقين، الذين بنوا إيمانهم على التقوى، التي هي جماع كل شيء في سلوك المؤمنين، لقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾(١).

من هو المؤمن الصادق؟

هوالذي يبرهن في كل حركة وسكنة من حياته على صدق إيمانه ودوام صلته بربه، وأنه مُسْتَعِدٌّ في كل لحظة من لحظات عمره أن يجاهد في سبيل الله ـ في حال الاستطاعة ـ بماله ونفسه ، بجسمه وروحه، وبريق دمه، إطاعة لأمر الله تبارك وتعالى، ويعلن عن ذلك في كل صلواته، عندما يقف في أقدس فترة من فترات الزمن بين يدي ربه، خاشعاً مخاطباً له ، فيقول: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾(٢).

هكذا كان المسلمون السابقون الذين صَدَقُوا في الإيمان مع ربهم، وأوفوا بالعهود له، فمنهم من قضى نَحْبَهُ وَرُزِقَ الشهادةَ في الدنيا، ونال حُسْنَ الثواب، والمغفرة والنعيم المقيم في الجنات، ومنهم من ينتظر، وما بَدَّلوا في حياتهم المستقيمة شيئاً أبداً، وما زاغت عقيدتهم، ولا هانوا ولا وهنوا. فجزاهم الله بصدقهم خير الجزاء، فامتدحهم الله عز وجل في قرآنه العظيم،

---

(١) سورة : التوبة. الآية : / ١١٩ / .

(٢) سورة : الانعام. الآيات: / ١٦١-١٦٣ / .

ومن يكون أسعد حظاً، وأحسن خاتمة، وأنجى نهاية، وفوزاً وفلاحاً من الذين يمتدحهم الله ويزكيهم. ويشهد لهم بالقرب والوصول والصلة الجميلة، عندما قال وهو أصدق القائلين: ﴿ **وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾ (١).

الإيمان غاية لا وسيلة:

« إن الإيمان بالله ورسوله يقتضي أن تجعلهما غاية لا وسيلة، ومقصداً لا سُلَّماً. إن الإيمان بالله ورسوله، يحتم عليك تقديمه على أعز عزيز، وأحب حبيب، وأقرب قريب، وأشهى مرغوب، وأغلى مطلوب، مصداق ذلك من قول رسول الله ﷺ(٢): « لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به »(٣). وقال أيضاً: « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده وأهله والناس أجمعين »(٤).

ماهي الآثار المفيدة للإيمان؟

يمكننا أن نستنتج أيضا الآثار المفيدة لإيمان الإنسان بالله ورسوله. ونحصر بعضها في البنود التالية:

---

(١) سورة: الاحزاب. الآيات: / ٢٢ ـ ٢٤ /.

(٢) « من هدي القرآن » الشيخ محمد نمر الخطيب. ص: / ٧٤ /.

(٣) حديث نبوي صحيح.

(٤) حديث نبوي صحيح.

١ ـ إن الله امتدحهم،وجعلهم من صفوة عباده الأبرار الأخيار، فقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ** ﴾(١).

٢ ـ يمتن عليهم ربهم بالهداية القلبية، حتى يسيروا على الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾(٢).

وقال أيضاً: ﴿ **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾(٣).

٣ ـ إن الله يتولى المؤمنين برعايته، بعد أن أخرجهم من الظلمات إلى النور في حياتهم الدنيا، قال العزيز الحكيم: ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾(٤).

٤ ـ إن كل عمل صالح يؤديه المؤمن عن طواعية، خالصاً لوجه الله، ورغبةً في تنفيذ أوامره، ورجاءَ ما عنده من الأجر والثواب يوم القيامة فإن الله لا يضيعه له أبداً، فقال عزّ من قائل: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا** ﴾(٥).

---

(١) سورة : البينة: الآيات: / ٧ـ٨ /.

(٢) سورة: التغابن. الآية: / ١١ /.

(٣) سورة: الحج. الآية: / ٥٤ /.

(٤) سورة: البقرة. الآية: /٢٥٧/.

(٥) سورة: الكهف. الايتان: / ٣٠ـ٣١ /.

٥ ـ إن الله قد أعد لهم البشرى في الحياة الآخرة بأن لهم الجنة خالدين فيها أبداً فقال تعالى:

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(١).

وقال أيضا:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ (٢).

٦ ـ لقد تعهد الله لهم بالحياة الطيبة في هذه الدنيا، كما تعهد لهم بالجزاء الكامل والأوفى، بأحسن ماكانوا يعملون في حياتهم الأخرى، فقال سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٣).

٧ ـ بعد ذلك يخاطب المؤمنون ربَّهم تبارك وتعالى، كما قال في محكم تنزيله:

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾(٤).

---

(١) سورة: البقرة. الآية: / ٢٥ /.

(٢) سورة: الكهف. الآيتان: / ١٠٧ـ١٠٨ /.

(٣) سورة: النحل. الآية: / ٩٧ /.

(٤) سورة: الفرقان. الآية: / ٧٤ /.

٨ ـ عندما يجيب الله دعاء عباده المؤمنين، ويبين جزاءهم العظيم على صبرهم، وماسيلاقون من تحية وسلام، في جنان النعيم، التي هي مستقرهم الأبدي ومقامهم الخالد، فقال الله المنعم المحسن ذو الجلال والإكرام عنهم:

﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾(١).

٩ ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٢).

١٠ ـ وترى المؤمنين إذا ما سمعوا ذكر الله تخشع قلوبهم، إجلالاً واحتراماً وطاعةً فيزداد إيمانهم بربهم، كما تزداد ثقتهم به سبحانه، واعتمادهم عليه، فقال تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٣).

---

(١) سورة: الفرقان: الآيتان: / ٧٥ـ٧٦ /.

(٢) سورة: يونس. الآيتان: / ٩ ـ ١٠ /.

(٣) سورة: الانفال. الآية: / ٢ /.

٢ ـ العبادة

تعريفها: قال الشيخ «ابن تيمية» رحمه الله:

العبادة: «هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال الباطنة والظاهرة»(١).

أنواعها: للعبادة أنواع كثيرة لاتقع تحت الحصر، وذلك لأن العلماء قد قرروا أن كل عمل يقوم به المسلم، أو كل قول يصدر عنه، إذا كان مبنياً على حسن النية والإخلاص، ويقصد به وجه الله تعالى ومرضاته فهو عبادة يثاب عليها، منها مثلاً:

الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والصدق في الحديث وفي المعاملة، وبر الوالدين والإحسان إليهما وحسن رعايتهما، والأمر بالمعروف دائماً وأبداً للناس جميعاً. وكذلك النهي عن المنكر باليد وباللسان والقلب بكل شجاعة وإقدام، وألا يخاف المرء في الله لومة لائم، وكذلك الجهاد في سبيل الله بالسلاح والنفس والمال واللسان والقلم، لإعلاء كلمة الله، وإحقاق الحق، وإرساخ قواعد العدل، والإحسان، والدعاء، والذكر، والمناجاة لله في آناء الليل وأطراف النهار.. وغير ذلك كثير جداً.

ومنها أيضا: حب الله، وحب رسوله، وخشية الله في السر والعلن، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر، والحكمة، والشكر على نعمة الله،

(١) كتاب [العبودية]. لابن تيمية. ص: / ٢ /.

والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته،والخوف من عذابه، وحسن الظن به.

وغير ذلك كثير من حسن الأقوال، وصالح الأعمال.

أيها القارىء الكريم:

إن العبادة ـ في نظر الإسلام ـ غاية محبوبة، خلق الله الإنسان من أجلها لكي يعبد الله حق عبادته. كما خلق الجن للغاية نفسها، فقال وهو الخالق المعبود:

﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾(١).

وما من رسول يرسله الله للناس، إلا ليبلغهم ما أوحي إليه من ربه، وأن يعبدوه وحده، كما قال تعالى:

﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾(٢).

ولم تقتصر العبادة لله على الجنس البشري وحده، أو الجن وحدهم بل أيضاً على الملائكة، و على كل المخلوقات في السموات أو في الأرض. فهم جميعاً مكلفون بها في كل زمان، وفي كل مكان، قال تعالى:

﴿ **وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ** ﴾(٣).

---

(١) سورة: الذاريات. الآية: / ٥٦ /.

(٢) سورة: الأنبياء. الآية: / ٢٥ /.

(٣) سورة: الأنبياء. الآيتان: / ١٩ـ٢٠ /.

وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾(١).

والإنسان مكلف بها طيلة حياته، منذ ولادته حتى تأتيه المنية، لقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٢). فكل الذين يعبدون الله حق عبادته بإيمان، وصدق وإخلاص هم عباد الرحمن.

فمن هم عباد الرحمن؟

إن القرآن الكريم خير من عَرَّفَهَمْ، وعدَّد صفاتهم وأعمالهم، وأوضح مميزاتهم بقوله تعالى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا

---

(١) سورة: الأعراف. الآية: / ٢٠٦ /.

(٢) سورة: الحجر. الآية: / ٩٨ ـ ٩٩ /.

باللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)﴾(١).

وعباد الرحمن يكونون في حفظ الله ورعايته، وفي مأمن من غواية الشيطان لهم، وذلك راجع لصدقهم في عبادتهم مع الله، ولما قال الشيطان كما نزل في القرآن الكريم، بقول الله تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾**(٢).

نجد في تتابع الآيات بعدها، وفي نفس السورة الرَّدَّ الواضحَ، الذي يبين الله فيه الصراط المستقيم، الذي سلكه عباد الرحمن المؤمنون،والذي ينبغي أن يسير عليه الإنسان الصادق، ليصل إلى ربه في نهاية المطاف بكل أمان، فقال عزّ من قائل:

﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾(٣).

النتيجة: نلخصها عن: عباد الرحمن في النقاط الثلاث التالية:

١ ـ إنهم عباد الله المخلصين.

٢ ـ وهم الذين يتبعون منهج الكتاب والسنة بحق، ويسيرون وفقهما على صراط الله المستقيم.

---

(١) سورة: الفرقان. الآيات: / ٦٣ ـ ٧٤ /.

(٢) سورة الحجر. الآيتان: / ٣٩ ـ ٤٠ /.

(٣) سورة الحجر. الآيتان: / ٤١ ـ ٤٢ /.

٣ ـ ويكونون دائماً في رعاية الله وحفظه، فلا تنالهم غواية الشيطان الرجيم.

الناس كلهم عباد الله:

فمن الناس من يكون مؤمناً باراً، ومنهم من يكون كافراً فاجراً.

فالله سبحانه هو الذي يهبهم الحياة، ويقدِّر عليهم الموت، ويرزق الناس في الدنيا، ويثبتهم على أعمالهم، أو يعاقبهم في الأخرى، فهو ربهم سواء آمنوا به أم كفروا، أو كان إيمانهم واعترافهم بفضله وإقرارهم بربوبيته عن طواعية أو كُرْهاً. فالله يدبر الأمر من السماء إلى الأرض بمشيئته، وَيُصَرِّفُ أمور المخلوقات، والكائنات جميعاً بإرادته، لا يُسْأَلُ عما يفعل وهم يسألون. لذلك فالإنسان أحد اثنين: إما كافر، وإما مؤمن، وفي كلتا الحالتين له صلة بربه لا تنفصم، وعرى وثيقة فيما بينه وبين ربه، منذ أن خلقه الله إلى ما شاء الله.

أ ـ فإن كان الإنسان كافراً فهو:

أ ـ إمّا جاحد لنعم الله عليه، منكر لفضله وخلقه،ومنكر لربوبيته، فتراه عندها أنه قد انسحب إلى عبادة غير الله، ووقع تحت سيطرة الأهواء والشهوات والمال والإنسان الآخر.

ب ـ وإما جاهل: فأمره غريب قد تدنى إلى مرتبة أقل من الحيوان شأناً وأضل سبيلاً.

٢ ـ وإن كان مؤمناً:

فقد انقاد بمحض إرادته، وثاقب عقله، وهداية قلبه وتفكيره للخضوع لله الذي فيه الرفعة والكرامة الإنسانية، والذي يحقق الصفة المثلى التي أرادها الله

له ليكون في عداد الخَلْق المصطفيْن الأخيار؛ فيتقبل أوامر الله وتكاليفه الشرعية بنفس راضية وقلب مطمئن ، لينال السعادة في الدنيا، والرضا والرحمة والقرب والوصول إليه سبحانه وتعالى، وليكون في الآخرة من الخالدين. في جنات النعيم إن شاء الله.

متى تحصل السعادة للإنسان؟

يقول الشيخ «ابن تيمية» رحمه الله: «فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له، لم يكن شيء قط أحلى من ذلك، ولا ألذّ ولا أمتع ولا أطيب»(١).

ويرى ابن تيمية أن:

«القلب فقير بالذات إلى الله من جهتين:

أ ـ من جهة العبادة وهي العلة الغائية(٢)

ب ـ ومن جهة الاستعانة والتوكل وهي العلة الفاعلة»(٣).

ونَرَى بناء على ذلك: أن صلاح القلب، وانشراح الصدر، واطمئنان النفس، وسمو الروح لا تحصل إلا عن طريق العبادة الصحيحة، والإخلاص بها لله تعالى وحده، ولا تثبت إلا بالمحبة الصادقة، ولاتدوم إلا بالإنابة إليه دائما وأبداً.

«وهذا لا يحصل للإنسان إلا بإعانة الله له ، فإنه لا يقدر على تحصيل

(١) كتاب العبودية «ابن تيمية. ص : / ٤٨ / .

(٢) كتاب العبودية «ابن تيمية. ص : / ٥٦ / .

(٣) كتاب العبودية «ابن تيمية. ص : / ٥٦ / . بتصرف.

ذلك السرور والسكون إلا الله ، فهو دائما مفتقر إلى حقيقة[1] قول الله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[2].

متى يحدث الشقاء للإنسان؟

وإذا سلمنا أن الإنسان استطاع الحصول بمقدوره المباشر على ما يحب ويطلب، فتمتع بمشتهياته، وتلذذ برغباته، وانغمس في خضم أهوائه، متجرداً في كل ذلك عن عبادة الله، فإنه في الحقيقة التي لامراء فيها لا يحصل إلا على آلامه ومتاعبه، ولايجني إلا الحسرات فيصبح من حيث النتيجة في عذاب القلب والضمير.

ماهو أصل العبادة، وشمولها لكل ما جاء به الدين؟

يقول الشيخ ابن تيمية:

«العبادة معناها: الذل. يقال: طريق مُعَبَّدٌ إذا كان مذلَّلاً قد وطئته الأقدام، ولكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل، ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية: الذل لله تعالى، بغاية المحبة له»[3].

فَنَرَى: أن الإسلام قد جمع كل مقوماته الأساسية وأركانه ومبادئة ومثلَه العليا في حديث صحيح، لما جاء جبريل -عليه السلام- إلى النبي ﷺ، في صورة رجل أعرابي، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، بهيئة حسنة وجميلة، وجلس بين يَدَيْ رسول الله ﷺ والصحابة ينظرون إليه، ولا يعرفون

---

(١) كتاب العبودية «ابن تيمية. ص: / ٥٦ /.

(٢) سورة الفاتحة. الآية رقم: /٥/.

(٣) كتاب «العبودية». ابن تيمية. ص / ٦ /.

مَنْ الرجل؟ ولا مِنْ أينَ جاء؟ فسأل النبيَّ ﷺ عن أربعة أشياء، سأله عن : الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة. فرد النبي ﷺ على جميع أسئلته، والصحابة سمعوا إجابة النبي كما سمعوا الأسئلة عليها. ولنثبت هنا ما أجاب به رسول ﷺ :

١ ـ فقال :« **الإسلام**: أَنْ تشهد أَنْ لا إله إلا الله، وأَنَّ محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ».

٢ ـ قال: فما **الإيمان**؟ قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره ».

٣ ـ قال: فما **الإحسان**؟ قال: « أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يَرَاكَ ».

٤ ـ قال: وما **الساعة**؟ فرد عليه النبي ﷺ قائلاً: « وما المسؤول عنها بأعلم من السائل ». فلما قام الرجل وخرج، التفت النبي عليه الصلاة والسلام إلى أصحابه فسألهم قائلا: أتدرون من السائل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال : « هذا جبريل جاءكم يعلمكم أحكام دينكم »(١).

حقيقة العبادة:

أما حقيقة العبادة فهي قيام المؤمن بتنفيذ أوامر الله تعالى، وتعاليم نبيه ﷺ، ثم اجتناب نواهيه ـ كماجاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ـ والاجتهاد في إقامة شعائر الإسلام، وجهاد أعدائه بكل قوة، وإخلاص في العمل، لأنه

(١) صحيح البخاري. جـ١ . الحديث الأول. من رواية: عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

يعلم علم اليقين أنه مسؤول عن كل أعماله، ولأنها في حقيقتها مع النية الصادقة عبادة يثاب عليها.

يقول أستاذنا الجليل صاحب المعالي، وشيخ الدكاترة الشيخ مصطفى الزرقاء:

«العبادة في الإسلام: وسيلة لتطهير النفس والعمل، والناس إنما هم عباد الله، وهو خالقهم وسيدهم، وإليه مصيرهم، فسمى التوجه منهم إليه بالمناجاة والتعظيم باسم العبادة»(١) يرى أن سر الحياة الصالحة تقوم على نظرية الإسلام التي تعتبر أساسها: صلاح العقل، وصلاح النفس، وصلاح العمل.

أ ـ «فالإسلام قد جعل الإيمان بالله الواحد المتصف بالكمال المطلق تطهيراً للعقل الإنساني من دَنَّ(٢) الوثنية، وتحريراً له من خرافياتها».

ب ـ والعبادة جعلها الإسلام طريقاً مؤدية إلى تطهير النفس والعمل من السيئآت والآلام، وأقامها الإسلام على أسسٍ كفيلة بهذا التطهير إذا حسنت ممارستها وحوفظ على جوهرها.

جـ ـ فالإسلام قد حرر العبادة من الوساطة بين العابد والمعبود، وجعلها صلة مباشرة بين العبد وربه، قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم: ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ**﴾(٣) وقال أيضاً: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ**﴾(٤). وقال النبي ﷺ

(١) مجلة «المسلمون» م١ع١. من مقال للاستاذ: معالي الشيخ مصطفى الزرقاء. أستاذ الشريعة والقانون المدني في كليتي الشريعة والحقوق في جامعة دمشق ـ سابقاً ـ.

(٢) الدَّنُ: وعاء يوضع فيه السوائل.

(٣) سورة: الغاشية. الآيتان: / ٢١ ـ ٢٢ /. وهناك وجه آخر لقراءة كلمة: (مسيطر) بالسين. أنها تقرأ: (مصيطر) بالصّاد. وهو وجه جائز في الترتيل للآية.

(٤) سورة: آل عمران. الآية: / ١٢٨ /.

مخاطباً ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها: «يافاطمة بنت محمد لا أغني عنك شيئاً..»[1].

د ـ وكما حرر الإسلام العبادة من قيد الوساطة، حررها أيضاً من قيد المكان؛ فكل مكان في نظر الإسلام صالح للتعبد بشرط توفر الطهارة فيه، وقد قال النبي ﷺ: «جُعِلَتْ ليَ الأرضُ مسجداً وطهوراً»[2].

هـ ـ والإسلام قد وسع كثيراً من مفهوم العبادة، فليس التعبد ـ في نظر الإسلام ـ قصوراً على الصلوات والأذكار فقط.. بل إن كل عمل صالح يفعله الإنسان، مخلصا فيه، امتثالاً لأمر ربه، وابتغاء مرضاته، هو عبادة يثاب فاعلها عليها ثواب المتعبدين.

... والدين الإسلامي له في هذا التوسع لمعنى العبادة فلسفة ونظرة عميقتان، فهو يريد من الإنسان أن يكون قلبه دائم الصلة بربه، غير غافل عنه، كثير المراقبة لنفسه ونزواتها، حتى يجعل دنياه وسيلة لآخرته، كما يقول القرآن الكريم:

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[3].

لأن العبادة الدائمة، لا تكلفه عندئذ حرمانه من الحظوظ وشقاوة الحياة، وإنما يكفيه رأس مال لها النية الصالحة، ومراقبة الله عز وجل...

(١، ٢) حديث نبوي صحيح.

(٣) سورة القصص. الآية: / ٧٧ /.

وعلى هذا الأساس أيضاً صرح الفقهاء وعلماء الشريعة: أن النية الصالحة تقلب العادة عبادة»(١).

الاعتدال في العبادة

روى الزهري عن عروة قال: دخلت امرأة (عثمان بن مظعون) ـ أحسب اسمها (خولة بنت حكيم) ـ على عائشة، وهي بَاذَّةُ الهيئة، فسألتها ما شأنك؟ فقالت: زوجي يقوم الليل، ويصوم النهار، فدخل النبي ﷺ، فذكرت عائشة ذلك له، فلقي رسول الله ﷺ عثمان فقال: «ياعثمان: إن الرهبانية لم تكتب علينا، أفما لك فيَّ أسوة؟! فوالله إني أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده»(٢).

نتائج العبادة:

ويمكننا أن نستنتج من ذلك النتائج الآتية:

١ ـ إن العبادة الصحيحة تخلِّص الإنسان من سلطان الشيطان والهوى ومن سيطرة النفس الأمارة بالسوء.

٢ ـ تحفظ الإنسان من الوقوع في الآثام والمعاصي.

٣ ـ تدله دائماً على سبيل الخير والمعروف، وكل عمل صالح.

٤ ـ يحصل للإنسان بسببها: حرية الرأي والفكر والعقيدة السليمة.

---

(١) مجلة «المسلمون» م١ع١ من مقال للأستاذ الشيخ مصطفى الزرقاء. باختصار والمؤلف: قد تتلمذ على الشيخ (مصطفى الزرقاء) في كلية الشريعة بجامعة دمشق من العام الدراسي ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ م إلى سنة التخرج في العام الدراسي ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ م.

(٢) مسند: أحمد بن حنبل. جـ٦. ص: /٢٢٦/٠

٥ ـ تجعله يتمتع بحرية العبادة المجردة الخالصة لله تعالى وحده.

٦ ـ تدفعه دائماً إلى القيام بكل عمل مثالي.

٧ ـ تصفه وتطبعه بالسمو الخلقي النبيل والمزايا الحميدة فيتمسك بأمهات الفضائل.

٨ ـ تملأ قلبه بالحنان والشفقة والرحمة، كما ملأته إيماناً ونوراً.

٩ ـ إن هذه العبادة سبب من أسباب تزكية النفس،ووسيلة من وسائل اطمئنانها، وتطهر القلب من أدرانه، وتغسله من ظلماته،وتسمو بالروح إلى أرفع مستوى.

١٠ ـ وعندما تكون العبادة سليمة من الشوائب والرواسب والبدع، وصحيحه كما أمر الله بها، وكما أمر بها نبيه محمد ﷺ، فإنها تكون وقاية له من الإشراك والوثنية، وتحفظه من الوقوع في الانحراف والضلال أوالبدع.

١١ ـ والعبادة الحَقَّهُ، والخالصة لله إنما هي إحدى وسائل القرب والوصول وصلة الإنسان بالله.

١٢ ـ إن لهذه العبادة مستلزمات أخرى كثيرة، ولابد منها مثل: الحمد لله والشكر له، والتوكل على الله، والاعتماد عليه والثقة به، والإخلاص، والدعاء والمناجاة والضراعة والابتهال، والتسبيح والذكر، والتفويض والتسليم لله، والرجاء لما عند الله سبحانه، والخوف من عقابه وعذابه.

٣ ـ التوكل على الله

له معنيان: لغويٌّ، واصطلاحي: (وهو المعنى الشرعي). وهما كما يلي:

المعنى اللغوي: هو أنَّ:

التوكل: مشتق من الوكالة، يقال: وَكّلَ أمرَهُ إلى فلان أي: فَوَّضَهُ إليه. واعتمد عليه فيه. ويسمى المُوكَّلُ إلَيْه: وكيلاً، ويسمى المُفَوَّضُ إليه: مُتَّكَلاً عليه ومُتَوَكَّلاً، إذا اطمأنت إليه نفس الإنسان ووثق به ولم يتهمه بتقصير، ولم يعتقد فيه عجزاً ولا قصوراً. ومن هنا يمكننا أن نستخلص التعريف التالي:

والمعنى الإصطلاحي: ظاهر في التعريف التالي:

تعريف التوكل: هو الاعتماد على الله والثقة المطلقة به سبحانه وتعالى في كل شيء، وحال يعتادها القلب، وتجلب للنفس لذةً، ولا تفسد هذه الحال إلا بالأفكار المنافية لها، والتوكل: هوأحد الأبواب التي يطرقها المؤمن للدخول في حظيرة الإيمان، وهو عامل متين الجذور، قوي البنيان،من عوامل صلة الإنسان بربه وخالقه، الذي بيده الحياة والموت، وتصاريف الأمور وتقديرها. كذلك فهو المنعم الرزاق ، ذو القوة المتين.

فكل شعبة، أو عامل من عوامل الإيمان ، لابد وأن ينتظم بعلم وعمل، وتكون له حال يعرف بها؛ فالتوكل كذلك ينتظم بالعلم الذي هو أصل كل شيء، وشرط أساسي لها جميعاً، وأما العمل فهو الذي يدعم العلم ويحققه، ويكون بالنسبة إليه كنتيجة وثمرة.

ولكي يتمهد السبيل للإنسان حيث يكون دائم الصلة بالله، بقلبه وروحه وعقله ولسانه وعمله يجب أن تتوفر فيه ثلاثة شروط هي:

شروط صحة الصلة الدائمة بالله هي:

١ ـ التوحيد : وهو شرط أولي وأساسي حتى تحصل الصلة بالله. وتم بشكل صحيح ودائم.

وهو الاعتقاد والتصديق بالقلب، والإقرار والاعتراف باللسان، والتطبيق بالأركان والجوارح. على أن الله تعالى: إنماهو إله واحد لا شريك له، خالق كل شيء، رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن الرحيم. متصف بصفات الكمال المطلق ،ومنزه عن النقائص والمثال، إلى آخر ما هنالك من صدق في التعبير عن أسماء الله عز وجل، والثبوت الحقيقي لصفاته تبارك وتعالى.

بعد ذلك ، يجب أن يكون هذا الاعتقاد والإقرار معبريْن في التطبيق والعمل، عن إيمان أكيد، يختلج في القلب، ويعتمل في النفس؛ كأن تجري عقيدة التوحيد الخالص لله في عروق الإنسان مجرى الدم في العروق؛ وأن تبدو لهذا الاعتقاد علائم ودلائل، تُثْبِتُ عملياً صحتَه، وَتُصَدِّقُهُ؛ بأن تظهر آثار هذا الإيمان وهذه العقيدة على جوارح الإنسان عند قيامه بأي عمل من الأعمال.

٢ ـ الإخلاص :

وهذا هو الشرط الثاني لصحة الصلة بالله ودوامها. وهو ـ في الوقت نفسه ـ يعتبر: الأهم لصحة كل عمل، وقبوله عند الله، لينال الإنسان أجراً وثواباً على عمله الصالح، وتدل عليه قرينة الصدق في العمل، إذا ما قامت على نية صادقة صافية، وخالصة من كل شائبة، وكذلك خالصة من كل علاقة قد تؤدي إلى تغيير صفاتها الحقيقية.

لذلك ينبغي أن يكون عمل الإنسان خالصاً لله تعالى، حتى يقبل عمله، وينال عليه الأجر والثواب والجنة، فيحظى بقربه سبحانه وينعم بلقائه. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾(١).

فهاتان الخصلتان: **التوحيد والإخلاص** متلازمتان، يتبع بعضهما بعضاً، ولا غنى للإنسان عنهما ولا ينفصلان عن بعضهما مطلقاً.

٣ ـ التوكل على الله:

هو نتيجة حتمية لعقيدة التوحيد الخالص لله، وللإخلاص في العمل. وهذه الخصال الحميدة والعوامل المفيدة، تُوجِدُ في الإنسان بعد ذلك: فضيلةَ الرضا والتسليم لله، وحسنَ الظن به والخشوعَ له، والإخباتَ والانقيادَ لطاعته، والتوبةَ من جميع الذنوب والآثامِ. كما تميز عنده الذكر الحقيقي الذي يستوجب الاطمئنان في القلب، وغيرها كثير من أمهات الفضائل والأعمال الصالحة. ولايفوتنا أن نقول أيضاً: إن هذه الصفات الجميلة الآنفة الذكر، والتي تحصل للإنسان بسبب صفاء عقيدة التوحيد في قلبه وعقله، وانعكاساتها على أعماله وأقواله، فإنها كذلك تبعده عن النقائص والرذائل، وتقطع فيما بينه وبين الشر والباطل كلَّ علاقة، فتجعل منه إنساناً مثالياً في كل شيء، في تصرفاته مثلاً مع نفسه وأسرته ومع الناس الآخرين، وتنظم علاقته بالمجتمع الإنساني، وتبدل سخطه رضىً، وحزنه فرحاً، وتشاؤُمَه تفاؤلاً، وضجره اطمئناناً، وتعبه ارتياحاً، فتملأُ حياته بشراً وحبوراً، وبهجة وسعادةً.

(١) سورة: الكهف. الآية: / ١١٠ /.

التلازم بين التوكل والسعي:

وقد يتساءل الإنسان في هذا الموضوع : هل يتنافى السعي في طلب الرزق، أو محاولة الحصول على أي شيء مشروع يطلبه مع التوكل؟ أم بينهما اتفاق وتلازم؟

فنقول: إن السعي في طلب الرزق متفق تماماً مع التوكل الحقيقي على الله. وهذا من باب اتخاذ الوسائل والأسباب، فاتخاذ الأسباب المشروعة والمعقولة لا يتنافى مع المعنى الحقيقي للتوكل على الله.

والدليل: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾(١).

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه جاءه رجل على ناقة. فقال: يارسول الله، أَدَعُهَا وأتوكل؟ فقال له عليه الصلاة والسلام« أعْقِلَهَا وَتَوكَّلْ »(٢).

وهذا الحديث يفيدنا في ضرورة اتخاذ الأسباب المشروعة في إتيان الأمور، لأنها في الحقيقة لا تتنافى مع التوكل على الله.

ويقول الرسول ﷺ : « من انقطع إلى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مُؤنَةٍ. ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا، وكله الله إليها »(٣).

ويقول كذلك النبي ﷺ : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما

---

(١) سورة: الملك. الآية: / ١٥ /.

(٢) رواه : أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبراني في الصغير، وابن أبي الدنيا. ومن طريقه البيهقي في الشُّعَبِ من رواية : الحسن عن عمران بن حُصَيْنٍ.

يرزق الطير، تغدو خِمَاصاً ، وتروح بِطَانَاً»(١).

وهذا لا يعني أن ينكب الإنسان وراء الدنيا وحطامها، بركونه إلى الأمر بالسعي، فتراه يحصر كل طاقاته وقواه في مشاغل الدنيا، مما لا يجعل له التفاتاً إلى الغاية المثلى من الحياة، لأن الإسلام علمنا أن الغاية من الحياة هي أن يحيا الإنسان فيها عزيزاً مكرماً ، عفيفاً في نفسه، شريفاً في سلوكه وأخلاقه وعرضه، قانعاً في رزقه الذي كتبه الله له، وفي الوقت ذاته يعطي الدنيا حقوقها المشروعة، ويعمل لآخرته بما شرع الله له، وما شرعه له رسوله عليه الصلاة والسلام.

نتائج التوكل على الله:

ويمكننا أن نستخلص النتائج المفيدة للتوكل على الله كمايلي:

١ ـ إن الله تبارك وتعالى أمر بالتوكل، فعلينا أن نمتثل لهذا الأمر، قال تعالى: ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾(٢).

٢ ـ إن الله سبحانه كفيل بالمتوكلين، وهو حسبهم، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾(٣).

٣ ـ إن التوكل مبني على الإيمان الصحيح، قال الله عز وجل في محكم تنزيله:

---

(١) رواه الترمذي والحاكم وصححاه من حديث عمرو. (تغدو خماصاً) : تذهب في الصباح جائعة. (تروح بِطَانَاً): تعود في المساء ممتلئة البطون. وفي رواية أخرى: «وترجع بطاناً» او كما قال.

(٢) سورة : ابراهيم. الآية رقم / ١٢ / .

(٣) سورة: الطلاق . الآيتان رقم / ٢ ـ ٣ / .

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾(١).

٤ ـ يحظى المتوكلون بحب الله تعالى لهم، قال الله عَزَّ وَجَلَّ في محكم تنزيله:

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(٢).

٥ ـ يحيا المتوكلون حياة ملؤها العزة والحكمة والتدبير، لقوله تبارك وتعالى:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٣).

٦ ـ والله سبحانه الذي يدافع عن الذين آمنوا، إنما هو أيضاً وكيلهم في جميع شؤونهم:

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾(٤).

٧ ـ ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾(٥).

٨ ـ ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً ﴾(٦).

---

(١) سورة: آل عمران. الآية رقم / ١٢٢ /.

(٢) سورة: آل عمران. الآية رقم / ١٥٩ /.

(٣) سورة: الأنفال. الآية رقم / ٤٩ /.

(٤) سورة الأحزاب. الآية رقم / ٤٨ /.

(٥) سورة: الزمر. الآية رقم / ٣٨ /.

(٦) سورة: الفرقان الآية رقم / ٥٨ /.

٤ ـ الشكر لله

تعريفه: هو اعتراف وثناء باللسان، وإقرار بالقلب بوجود نعمة الله تعالى على الإنسان، وتنقاد على أثره الجميل جوارحه بالطاعة والعبادة له سبحانه وتعالى.

من الشاكر؟:

هو كل إنسان ملأ الله قلبه محبة لربه، فأشغل لسانه بالذكر والثناء عليه سبحانه، مقراً بفضله وإحسانه ، معترفاً بالنعم كلها، فتُصَدِّقُ جوارحُه كلَّ ذلك بطاعة الله، استسلاماً كاملاً وانقياداً.

ولهذا نرى القرآن الكريم قد أمرنا بالشكر لله، حتى نكون ذاكرين له، عابدين، لمَّا خاطب المؤمنين بقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾(١).

« وكلمة الشكر من الكَلِمَ الجوامعِ التي تنتظم كل خير،وتشمل كل ما يصلح به قلب الإنسان ولسانه وجوارحه.

فالذي لا يحب الله، ولا يشهد قلبه بأن مافيه من النعم إنما هو من الله فضلاً وإحساناً ليس بشاكر، والذي لا يثني على ربه، ولا يحمده بلسانه، ويخوض في الباطل، ويشتغل لسانه بلغو القول، ولهو الحديث ليس بشاكر، والذي يعطيه الله من العلم شيئاً، ولا يعمل به، ولا يعلمه الناس ليس بشاكر.

---

(١) سورة: البقرة الاية : / ١٧٢ / .

والذي يعطيه الله من المال ما يستعين به على طاعته بصرفه في وجوه الخير والبر، بل تراه على العكس يبخل به، أو يصرفه في المعاصي فليس بشاكر(١).

فالشكر الجميل مبني على العبادة الحقة، والطاعة لله تبارك وتعالى: فالله سبحانه يقول: ﴿ **بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ** ﴾(٢).

الشكر سبب زيادة النعمة: يقول الله تبارك وتعالى:

﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾(٣).

فقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُم** ﴾ أي آذن إيذاناً بليغاً، لا تبقى معه شائبة من شبهة أن الله تعالى قد تعهد على ذاته الكريمة، تفضلاً منه سبحانه وإحساناً، أنه وهو المنعم الكريم سيزيد نعمة العبد الشاكر لربه، ويبارك له في كل ما يعطيه، لينال الإنسان بهذا الشكر والنعمة خَيْرَيِ الدنيا والآخرة. لأن هذا التَّأَذُّنَ من الله هو في الحقيقة نعمة من الله. ولئن جحد الإنسان نعمة الله وكفرها فإن الجحود والكُفْرَانَ لها سبب من أسباب زوالها عنه في الدنيا، وسبب من أسباب عقابه وعذابه في النار يوم القيامة. والخطاب في هذه الآية في الأصل كان موجهاً لبني إسرائيل، حيث يُذَكِّرُهُمُ اللهُ بنعمة الإنجاء لهم من الهلاك وغيرها من النعم، فيوجب عليها والحالة هذه الشكر له سبحانه.

---

(١) مجلة الأزهر. م / ١٣ / .ص: / ٥٣ / مقال الشيخ محمد مصطفى المراغي. بتصرف فيه زيادة لازمة.

(٢) سورة: الزمر. الآية / ٦٦ /.

(٣) سورة: إبراهيم. الآية رقم / ٧ /.

إذن فواجب على الإنسان أن يشكر الله الذي خلقه وصوَّره، وشق سمعه وبصره، وأسبغ عليه نعمه، ظاهرة وباطنة.

وهناك أيضاً في واقع الحياة إنسان آخر، يقف على النقيض من الإنسان الشاكر، فترى هذا الإنسان الآخر جاحداً لنعم الله وفضله عليه، منكراً لها، بدافع من غروره بنفسه أو إلحاد وكفر. وهذا مما لا يرضاه على نفسه كل من أوتي رجاحة في العقل، ونوراً في القلب، وسلامة في الضمير.

ولكي يسير الإنسان في طريق الوصول إلى الله عز وجل، وحتى يكون دائم الصلة به سبحانه وتعالى، فواجب على الإنسان أن يتقرب إلى خالقه وبارئه بالعبادة والطاعة، و وبالشكر الجزيل والجميل الذي لا ينضب معينُ عينِ مائه العَذْب.

وهذا ما أمرنا الله به في كثير من آيات كتابه، وبيَّنه لنا بعد أن عدد النعم التي امتنها علينا، فقال الله تعالى:

١ ـ ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(١).

٢ ـ ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ ﴾(١).

(١) سورة: النحل. الآية: / ٧٨ /.

٣ ـ ﴿ اللَّهُ الَّذي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فيه بِأَمْرِه وَلِتَبْتَغُوا من فَضْله وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا في السَّمَوَات وَمَا في الأَرْض جَميعاً مّنْهُ إِنَّ في ذَلكَ لآيَات لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢).

٤ ـ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٣).

فإن نعمة السمع والبصر والفؤاد، وإخراج الحبة وبعث الحياة فيها، والنماء في الأرض الميتة، والنخيل والأعناب، والمياه العذبة، والثمرات، وتسخير البحر،وما في السموات والأرض، والسكون والهدوء والطمأنينة في الليل والنهار، ليبتغي الإنسان من فضل الله ألايستحق الله تعالى الشكر العظيم. بعد كل هذا وذاك الذي لايَكِلُّ منه لسان ولا يَفْتُرُ عنه قلب؟ ولكن أكثر الناس لايشكرون.

لذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ ﴾(٤)

وقال أيضاً: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾(٥).

على من تعود منفعة الشكر؟ أعلى الله؟ أم على الإنسان؟:

---

(١) سورة : يس: الآيات / ٣٣ـ٣٥ /.

(٢) سورة الجاثية . الآيتان : / ١٢ـ١٣ /.

(٣) سورة: القصص. الآيات: / ٧١ـ٧٣ /.

(٤) سورة: يونس . الآية : / ٦٠ /.

(٥) سورة: سبا . الآيات : /١٢/.

إن الله الكبير المتعال، الغني الحميد، المنعم الكريم الوهاب، ليس في حاجة إلى شكر الإنسان، كما أنه جلَّت قدرته، لا يضره كفر الكافرين، ولا جحود المنكرين، وإنما تعود فوائد الشكر على الإنسان نفسه، لأنه هو الذي يستفيد منها، ويمكننا أن نلخص بعض فوائده كما يلي:

١ ـ إن الشكر يكون سبباً في تطهير النفس الإنسانية وتزكيتها ونقاوتها.

٢ ـ وبالشكر يمكن للإنسان أن يطرق باباً من أبواب الصلة بالله تعالى.

٣ ـ والشكر يُعِدُّ الإنسان لرد الجميل والاعتراف به، ويوجه إرادته نحو الخير لنفسه وللناس جميعاً.

٤ ـ ويدله على المنهج السليم في كيفية استخدام نعم الله، وكيفية إنفاقها في سبيلها المشروع.

سؤال: لو كفر الإنسان ولم يشكر، فماذا يحصل له؟:

فالجواب: لو كفر هذا الإنسان بربه ولم يشكره على نعمه الكثيرة فتكون نتائج كفره وجحوده ونكرانه كما يلي:"

١ ـ ترى الإنسان المنكر لنعم الله يبدد هذه النعم بلا حساب وَيُعَرِّضُهَا للزَّوال في طرق الشر والشيطان.

٢ ـ إن كفر النعمة وجحودها وعدم الاعتراف الجميل بها لله تعالى يكون سبباً من أسباب زوالها عن الإنسان المنكر؛ عندما يبعثرها على المحرمات التي تودي به في النهاية إلى نار جهنَّم

٣ ـ مثلُ هذا الإنسان تراه يسير في دروب الغيِّ والضلالِ حتى يستقر في مهاوي الرَّدى. ويصيبه بعد ذلك ذلُّها وضررها.

٤ ـ لذلك كله يستحق غضب الله عليه والابتعاد عن رحمته، قال الله تعالى في الآيات التالية:

أ ـ ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾(١).

ب ـ ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١١٣) فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (٢).

جـ ـ ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾(٣).

« فأعرضوا عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم، وعدلوا

---

(١) سورة: لقمان: الآية: / ١٢ /.

(٢) سورة: النحل. الآيات: / ١١٢ ـ ١١٤ /.

(٣) سورة: سبأ. الآيات: / ١٥ ـ ١٩. تفسير هذه الآيات في هامش الصفحة التي تلي هذه الصفحة ==

إلى عبادة الشمس من دون الله، كما قال: الهُدْهُدُ لسليمانَ عليه الصلاة والسلام:

وكما نزل ذلك في قول الله تعالى:

﴿ . وجئتُكَ من سبأ بنبأ يقين (٢٢) إني وجدتُ امرأةً تملكُهم وأُوتيت من كلِّ شيءٍ ولها عرشٌ عظيمٌ (٢٣) وجدتُها وقومَها يسجدون للشمسِ من دونِ اللهِ وزيَّن لهمُ الشيطانُ أعمالَهم فصدَّهم عنِ السبيلِ فهم لا يهتدون ﴾(١).

الشُّكْرُ خُلُقُ اللهِ:

يقول الإمام الغزالي رحمه الله عن الشكر ما نصه: «وهو خُلُقٌ من أخلاق الربوبية»(٢).

ويقول الله تعالى: ﴿ .. واللهُ شكورٌ حليمٌ ﴾(٣).

ولقد صح في الخبر، عن السيدة عائشة رضي الله عنها، أنها رأت رسول الله يبكي أثناء قيامه بالعبادة في جوف الليل، فقالت: يا رسول الله، ما يبكيك؟ وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال عليه الصلاة

= تفسير الآيات / ١٥ ـ ١٩ /من سورة : سبأ. كما قاله (ابن كثير) في تفسيره. جـ٣. ص / ٥٣٢ ـ ٥٣٢ / :

السيل العرم: معناه : الغزير المياه.

ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ: قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والسُّدي وقتادة: وهو الأراك وأكلة البربر.

الأَثْلُ: قال العوفي عن ابن عباس: وهو الطَّرفاءُ. وقيل: هو السَّمُرُ. وشَيْءٍ من سِدْرٍ قَليلٍ: لما كان أجود هذه الأشجار المبدل بها هو السدر .. فهذا الذي صار أمرتينك الجنتين إليه الثمار النضيجة، والمناظر الحسنة، والظلال العميقة والأنهار الجارية، تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل. وذلك بسبب كفرهم، وشركهم بالله، وتكذيبهم الحق، وعدولهم عنه إلى الباطل. انظر تفسير: (ابن كثير ـ جـ٣ ص: ٥٣٢ ـ ٥٣٣ في تفسير الآيات ١٥ ـ ١٩ من سورة سبأ.

(١) سورة : النمل . الآيات رقم : / ٢٢ ـ ٢٤ / .

(٢) «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي. جـ ٤ . ص / ٧٠ / .

(٣) سورة: التغابن . الآية : / ١٧ / .

والسلام يرد عليها : «أَفَلا أَكُونُ عَبْدَاً شَكُوراً»(١).

توعية وإرشاد:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن الشكر: «الشكر نصف الإيمان»، ويقول النبي الهادي البشير محمد ﷺ في توعيته لأمته، وإرشادهم إلى طرق الخير والصلاح في الدنيا، وطرق الفلاح والنجاة في الآخرة: «لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ لساناً ذاكراً، وقلْباً شاكراً»(٢).

(١) من رواية السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٢) من رواية: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

٥ ـ ذكر الله تعالى

تعريفه : لقد عَرَّفَ «الذكرَ» أبو حامد محمد بن محمدالغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين» : بقوله : «الذكر: عبادة تُؤَدَّى باللسان والقلب»(١).

وعرفه أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان، في كتابه«الرسالة القشيرية» فقال : «وهو ركن قوي في طريق الحق سبحانه وتعالى، بل هو العمدة في هذا الطريق، ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر»(٢).

إن ذكر الله تعالى يُعَدُّ في نظر الإسلام من أهم العبادات التي تجعل الإنسان الذاكر لربه حقيقةً دائمَ الصلة بالله تعالى.

خصائص الذكر:

١ ـ إنه عبادة مستقرها القلب وآلتها اللسان والجوارح.

٢ ـ تجعل الإنسان دائمَ الصلة بربه سبحانه.

٣ ـ إنه لا ينحصر بزمان ولا بمكان.

٤ ـ له صفة الاستمرار في جميع الأحوال.

٥ ـ إن له صفة المقابلة بالذكر، فيما بين الإنسان وخالقه، فإذا ذكر الإنسان ربه فإن الله تعالى يذكره، فقال تعالى :﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ** ﴾(٣).

---

(١) إحياء علوم الدين. للإمام: أبو حامد محمد الغزالي.

(٢) «الرسالة القشيرية». لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيريّ . ص: / ١٠٢ / .

(٣) سورة: البقرة. الآية : / ١٥٢ / .

الأمر بالذكر:

لقد نزل الأمر بالذكر في : الكتاب الكريم، وورد في والسنة، وأجمع عليه علماء الأمة.

أ ـ الكتاب :

إذا ما استعرضنا الآية الكريمة «فاذكروني أذكركم» فإننا نجد مقابلة في الذكر بين الله سبحانه وتعالى وبين عباده الذاكرين له، فقوله تعالى «فاذكروني» بصيغة الأمر لعباده، وصيغة الأمر في اللغة العربية تقتضي الوجوب والتنفيذ من المأمور، طاعة لأمر الآمر وهو الله تعالى ونحن كمؤمنين نطيع مَنْ أمرنا بذكره، ذكراً كثيراً؛ لا ينحصر في عدد معين على إطلاق العدد، ماعدا ما وَرَدَتْ به السنة المطهرة بتحديد عدد التهليل والتسبيح والتحميد والتكبير دُبُرَ كل صلاة فريضة، وغير ذلك كالاستغفار مثلاً.

فوائد الذكر:

الذكر بمختلف صيَغِه وألفاظه، ومنها: التسبيح في الصباح والمساء له فوائد كثيرة جداً. منها مثلاً:

١ ـ إن الله تعالى يرحم عباده الذاكرين المسبحين آناء الليل، وأطراف النهار

٢ ـ إن الملائكة تدعو لهم بالرحمة أيضاً.

٣ ـ وبسبب هذا الذكر الصالح، يخرج الإنسان الذاكر من الظلمات بكل معانيها إلى النور في أبهى صوره.

٤ ـ وتصّور معي ـ أيها القارئ الكريم ـ منزلة الذاكرين عند الله، عندما يُسْتَقْبَلُونَ في الجنة بالتحية والسلام الجميل فقال عزّ من قائل دليلاً على ما

أسلفنا :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾(١).

ومن هذا الذكر ما يكون عند المشْعَر الحرام، كما يريد الله ، وهدى إليه، فقال تعالى:
﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢).

وكذلك بعد الانتهاء من قضاء المناسك في الحج، ولكن على المؤمن أن يذكر الله أكثر مما يذكر الآباء، فقال تعالى:
﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ﴾(٣).

وبعد الانتهاء من الصلاة أيضاً، لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾(٤).

وقال أيضاً:
﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ

---

(١) سورة : الأحزاب. الآيات: / ٤١ ـ ٤٤ / .

(٢) سورة: البقرة . الآيتان : / ١٩٨ ـ ١٩٩ / .

(٣) سورة : البقرة. الآية : / ٢٠٠ / .

(٤) سورة النساء الآية : / ١٠٣ / .

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾(١).

فالإنسان الذي يذكر ربه بكل صيغة ، وفي كل صفة وفي كل حال، ويتفكر ويتأمل في قدرة الله، الذي خلق هذا الكون البديع وصوَّره فأحسن صوره، وأحكم صنعه بالحق والعدل، تراه قد امتلأ قلبه خشية لله، فأصبح بين الخوف والرجاء، يخاف من عذاب الله، ويخشى عقابه من جهة، ومن جهة ثانية له كبير الأمل، وعظيم الرجاء بما عند الله من رحمة وغفران الذنوب، فيسأل الله عُلُوَّ المنزلة، مع الرضا والرحمة في الجنة، فيجد في يوم القيامة أن الله تعالى قد حفظ له كل أعماله وأثابه عليها. فاستمعْ لوعد الله في استجابته دعاء عباده الذاكرين الصالحين، كما يقول الله تعالى رب العالمين:

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ . . ﴾(٢).

يقول: ابن عباس رضي الله عنه، عن وجوب الذكر الذي لا ينحصر بزمان ولا بمكان، ولابحالة معينة، بالنسبة للذاكرين الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، أي: أنه يجب على الإنسان بالليل والنهار، في البر والبحر، والسفر والحظر،

---

(١) سورة: آل عمران : / ١٩١ ـ ١٩٤ /.

(٢) سورة: آل عمران: / ١٩٥ /.

والغنى والفقر، والمرض والصحة، والسر والعلانية.

كيفية الذكر: يقول الله تعالى معلِّماً لنا كيف يكون الذكر الصحيح له سبحانه.

﴿ **وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ** ﴾(١). وهذا هو الذكر المطلوب شرعاً، والمستقر بالقلب، فيعبرعنه اللسان والجوارح.

« وقد أمر الله بالذكر، ورغَّب فيه بآيات كثيرة في كتابه، فقال تعالى: ﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾.

ومعناه: اذكروني بخدمتي وعبادتي أذكركم بنعمتي ولطفي، وعنايتي ورعايتي.

- أذكروني بالتوحيد، أذكركم بالتأييد.
- أذكروني بالشكر أذكركم بالمزيد.
- أذكروني بالمحبة، أذكركم بالقرب والوصول.
- أذكروني بالخوف، أذكركم بالأمان.
- أذكروني بالرجاء، أذكركم بتحقيق الآمال. »(٢)

ويقول الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ** ﴾(٣)

---

(١) سورة: الأعراف. الآية: / ٢٠٥ /.

(٢) «طهارة القلوب والخضوع لعلاّم الغيوب». تاليف: عبد العزيز الدريني. ص: / ١٧ /. بتصرف.

(٣) سورة: الرعد. الآيتان: / ٢٨-٢٩ /.

ب ـ السنة :

قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربّه تبارك وتعالى : « أنا مع عبدي ماذكرني، وتحركت شفتاه بي »(١).

وسئل رسول الله ﷺ مرة عن أفضل الأعمال، فقال : « أن تموت ولسانك رَطْبٌ بذكر الله عز وجل »(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام : « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت »(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال : يقول الله عز وجل :

« أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يَذْكُرُني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منه، وإن تقرَّب منِّي شبراً تقربت منه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هَرْوَلَةً »(٤).

والمعنى : أنه يجدر بالإنسان الذاكر لربه أن يحسن الظَّنَّ بالله، وأن يخلص في ذكره لله إذا ما ذكر الله بقلبه ونفسه وتفكيره وتأمله وتدبره، لأنه كلما أقبل على الله بهذه العبادة طاعة لأمر الله، فإن الله عز وجل يجزل له

---

(١) من حديث قدسي برواية : أبي هريرة وأبي الدرداء رضي الله عنهما وهو حديث صحيح الإسناد.

(٢) رواه البيهقي في الشُّعَب، من حديث معاذ رضي الله عنه.

(٣) رواه : أبو بردة عن أبي موسى رضي الله عنهما.

(٤) متفق عليه، وكذا جاء في صحيح البخاري. جـ ٨ ، ص : / ١٥٥ / ، الحديث رقم / ٩٨ / ، و(الهرولة) هنا، معناها : سرعة الإجابة.

العطاء، ويزيد له الأجر والثواب، ويسبغ عليه الرحمة ويستجيب له الدعاء.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:

« سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله:

- إمام عادل.

- وشاب نشأ في عبادة الله.

- ورجل قلبه مُعَلَّقٌ بالمساجد.

- ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه.

- ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله.

- ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

- ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه »(١).

جـ- إجماع علماء الأمة:

يتجلى هذا الإجماع من علماء الأمة الإسلامية، في أقوالهم المنثورة في آثارهم، وكذلك تظهر الصورةُ واضحةً في أفعالهم الصالحة ، إذ هم قدوة للناس ونبراسهم، وهم الصفوة المختارة الذين بهم يقتدي الناس، ومنهم يتعلمون أصول الدين وتشريعاته وأحكامه ومبادئه وأخلاقياته.

(١) متفق عليه. « رياض الصالحين » للإمام النووي. ص : / ٢٣٦ / . برواية : أبي هريرة رضي الله عنه.

فالعلماء العاملون الصالحون هم الأجدر بالسبق في مجال هذه العبادة، فالله عز وجل كما امتن عليهم بتنوير قلوبهم وعقولهم وتفكيرهم بنور القرآن الكريم والسنة النبوية والعلم النافع وامتن كذلك عليهم بنور العبادة وذكر الله سبحانه وتعالى.

يقول (معاذ بن جبل) رضي الله عنه: «ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها».

نماذج من أقوال أعلام المسلمين: (في أنواع الذكر):

الذكر نوعان: ذكر اللسان، وذكر القلب.

يقول: (أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري) في رسالته: «فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر الله في القلب.. فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه، وفي حال سلوكه»(١).

ويقول (الحسن البصري) رحمه الله: الذِّكْرُ، ذِكْرانِ:

أ ـ ذكر الله عَزَّ وجَلَّ بين نفسك وبين الله ما أحسنه وأعظم أجره.

ب ـ وأفضل من ذلك، ذكر الله سبحانه عند محارم الله (بمعنى أن ذكر الله يردع الإنسان عن اقتراف الفعل المحرم) ويقول (عبد الله بن عباس) رضي الله عنه فيما يرويه عن وَجْهَيْ الذكر:

أ ـ إن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إيَّاه.

ب ـ إن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه.

---

(١) «الرسالة القشيرية» لأبي القاسم عبد القادر هوازن القشيري. ص: / ١٠١ /.

وذكر الله تعالى أيضا نوعان: ذكر كثير وذكر قليل، وهما كمايلي:

الذكر الكثير: إن المؤمن يذكر الله تعالى بكُلِّيّته، بقلبه ولسانه وعقله وتفكيره وجوارحه، يتأمل في آيات الله الدالة على وجوده ووحدانيته وقدرته على الخلق، وحسن تدبيره لشؤون هذا الكون الكبير، وجميل تصريفه لأمور عباده، فلا يتحرك له عضو، أو تسكن له جارحة، إلا ويعلم علم اليقين أن الله تبارك وتعالى مطلع عليه في خَفِيِّه وجَلِيّه.

لذا ينبغي عليه أن يكون دائم الحضور، والانتباه، ذاكراً لأنْعُمِ ربه، شاكراً لفضله عليه، ليكون في النتيجة دائم الصلة بربه سبحانه، لقوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾(١)

ويقول سبحانه أيضاً واعداً المؤمنين ـ كما وصفتهم الآية التالية ـ بالمغفرة والجنة:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾(٢).

«وإذا امتدت يده «يد الإنسان» إلى شيء ذَكَرَ اللهَ، فكفَّ يدَه عمَّا نهى

(١) سورة: الاحزاب. الآية: / ٢١ /.

(٢) سورة: الاحزاب. الآية / ٣٥ /.

الله عنه، وإذا سعت قدمُه إلى شيء ذَكَرَ الله، فوقفَ عن السعي إلا فيما يرضي الله، وإذا طمحت عيناه إلى شيء ذكرَ الله فَغَضَّ بصره عن محارم الله، وكذلك سمعهُ ولسانهُ وجوارحُه مصونةٌ بمراقبة الله ومراعاة أمر الله..»(١).

ويقول الله تباركت أسماؤه وعزت صفاته في محكم تنزيله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ (٢).

الذكر القليل: هو ذكر المنافقين، وهو ذكر الغافلين، الذين يذكرون بألسنتهم فقط، وهم يراءون الناس بهذا الذكر، وليس في قلوبهم شيء من معانيه، لذا يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٤٢) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾(٣).

فضيلة الذكر: إن الذكر الحقيقي المطلوب شرعاً وعرفاً، والذي تدل عليه القرائن الصادقة، هو ذكر القلب المدعوم بذكر اللسان. والذكر سواء أكان بالقلب أم باللسان يجب أن يكون مقترناً بحضور القلب مع الله، بحيث لا تتسرب إليه غفلة أو نسيان للمذكور وهو الله جلّ جلاله، حتى تحصل الفائدة المرجوة من الذكر، ألا وهي الاطمئنان القلبي، والارتياح النفسي الناتج عن الخشوع لعظمة الله وكبريائه وجلاله، وصدق الله العظيم إذ

(١) «طهارة القلوب..» الدريني. ص: / ١٧ /.

(٢) سورة: الأحزاب. الآيتان: / ٤١-٤٢ /.

(٣) سورة: النساء. الآيتان: / ١٤٢-١٤٣ /.

يقول في كتابه العزيز:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾(١).

وقال عزّ وجل:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾(٢). وهذا الذكر القلبي يستلزم الحضور مع الله، والتفكر في آلائه وقدرته على صنع هذا الكون وما فيه من مخلوقات دالة عليه، وهذا ما يعبر عنه بالمراقبة.

سؤال: فماهي هذه المراقبة من وجهة النظر الإسلامية؟:

الجواب: المُرَاقَبَةُ: هي نوع من تركيز الفكر، وإشغاله بالتفكر والتأمل في آلاء الله في هذا الكون الكبير، البديع في صنعه، وتنسيق نظامه وهذه المراقبة التي بمعنى التفكر والتأمل في آلاء الله نوع من أنواع العبادات، والتي تُؤدَّى عن طريق النفس والروح والقلب والعقل، يقوم بها الإنسان بصدق وإخلاص لله تعالى، ليكون دائم الصلة بربه، وليزيد ويقوّى من إحكام هذه الصلة الجميلة، فينتقل من منزلة إلى أخرى أعلى وأبهى، حتى يصل في نهاية المطاف إلى منزلة الإنسان في مقام الإحسان الذي قال عنه النبي ﷺ: «الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(٣).

وكل إنسان مؤمن يعتقد حقيقة أن الله تعالى مُطَّلِعٌ عليه في خفيّه وجليّه،

(١) سورة: الرعد. الآيتان: / ٢٨-٢٩ /.

(٢) سورة: الحديد. الآية: / ١٦ /.

(٣) حديث نبوي صحيح. رواه البخاري. جـ ١ الحديث الأول من رواية: عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

لأن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ولا يَعْزُبُ عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ترى هذا الإنسان لاينفك حابساً نفسه على مراقبة الله، الذي يراقبه، ويعلم سبحانه جميع تصرفات عباده وأقوالهم.

فالمراقبة السليمة والصحيحة المشروعة من وجهة نظر الإسلام هي: التي لا تتطرق إليها أفكار أثيمة، أو وساوس شيطانية تزيغ عقيدة المسلم ـ لا سمح الله ـ أوتخرجه عن جادة الشريعة والهداية. وكذلك لا تشوبها شائبة من شوائب الإشراك بالله أو الوثنية سواء أكانت جاهلية قديمة أم بدعة معاصرة. بل يقف ذكرُ الله سداً منيعاً يحمي قلب الإنسان وروحه وعقله من الإنحراف والضلال، ويرتفع به إلى منزلة عالية جداً عند الله، فيستحق بعد ذلك بفضل من الله ونعمةٍ الأجرَ والثوابَ والجنةَ.

ولقد امتدح الله في كتابه العزيز: الذاكرين والذاكرات، وبيّن ما أعدَّ لكلا الجنسين من: (ذكر وانثى) من مغفرة وجنة في قوله تعالى: ﴿ **وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً** ﴾(١) فلو ذكر الإنسان ربه بلا خشوع لله ولا تفكر في آلائه، وبلا حضور في القلب، فماذا تكون النتائج؟ لذا يجب أن نبحث عنها ونقول: ما سنذكره عن نتائج ذكر الله.. وذلك في الصفحة التي تلي هذه. فإلى هناك..

(١) سورة الاحزاب. الآية: /٣٥/.

٦ ـ نتائج ذكر الله بلا خشوع ولا حضور في القلب

إن الذكر لله ـ من قبل إنسان مّا ـ بلا خشوع منه، ولا حضور في القلب، يولد النتائج التالية:

١ـ يولد قسوة في القلب، ويكون صَاحِبُهُ بعد ذلك في ضلال مبين، قال الله تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾(١)

٢ ـ يُحْدِثُ النُّفْرَةَ في الروح من جميع العبادات.

٣ ـ يفتح أمام النفس البشرية أبواب العُجْبِ بالعبادة، والرياء فيها أمام الناس، والنفاق البغيض الموجب لشقاء الإنسان في الدنيا، وعذابه في الحياة الآخرة، فتبارك الله إذ يقول: ﴿ **يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾(٢).

إن الذين يذكرون الله بألسنتهم فقط، ولا يفقهون ما يقولون، ولا يتدبرون المعاني: لا تخشع قلوبهم، ولا ترتجف أفئدتهم رغبةً ورهبة، لجلال المذكور جل جلاله، لذلك تكون النتائج عندهم عكس المأمول، وفيها يكمن الضرر الواضح، والكثير والخطير.

والسبب: أنهم في غفلة عن ذات الله سبحانه وتعالى، ونسيان لمعاني صفاته، فتكون النتيجة أن تحصل القسوة في قلوبهم بدل الاطمئنان، وأَيَّةُ فائدة من ذكر الله باللسان فقط؟ والفكر مشغول في النواحي الشخصية الخاصة، أو القلب مُهْتَمٌّ ـ أثناء الذكر ـ بالمال، أوالولد أو الزوجة، أوالأعمال

(١) سورة: الزمر. الآية: / ٢٢ /.

(٢) سورة: النساء. الآية: /١٤٢/.

الدنيوية والأطماع: فهؤلاء الناس حقيقة تنطبق عليهم قوله جل وعلا «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه». فيكون مصيرهم في وادي «وَيْلٍ» في جهنَمَ يوم القيامة، جزاءً وفاقاً.

تحذير القرآن الكريم من الغفلة عن ذكر الله:

ولقد عالج القرآن الكريم هذه الناحية الهامة في حياة الناس التعبدية، وحذرنا من أن نقع في مثل هذه المهالك، ونحن نستطيع الوقاية منها إن اتبعنا الطريق السوي والذكر المشروع فقال تعالى:

﴿ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾(١).

وحذرنا من الغفلة عن الله، أو عن الغفلة عنه في ذكره، حتى لا ننسى الله، ولا ننسى أنفسنا بعد ذلك، فنكون من الفاسقين ـ لاسمح الله ـ فقال تعالى:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(٢).

ويقول الله تعالى:

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(٣).

---

(١) سورة: الحديد: الآية / ١٦ /.

(٢) سورة: الحشر. الآية: / ١٩ /.

(٣) سورة: الزخرف. الآيتان: / ٣٦ ـ ٣٧ /.

ويقول الله تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾(١).

الأدلة الشرعية على جواز الذكر بعد الصلوات:

جاء في صحيح البخاري قوله: حدثني إسحاق، أخبرنا يزيد، أخبرنا وَرْقَاءُ عن سُمَيٍّ عن أبي صالح عن أبي هريرة، قالوا: يارسول الله: ذهب أهل الدُّثُور بالدرجات والنعيم المقيم، قال: «كيف ذاك»؟

قالوا: صلوا كما صلينا، وجاهدوا كما جاهدنا،وأنفقوا من فضول أموالهم، وليست لنا أموال.

قال: «أفلا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم، وتسبقون من جاء بعدكم، ولا يأتي أحد بمثل ماجئتم إلا من جاء بمثله: تسبحون في دُبُرِ كل صلاة عشراً، وتحمدون عشراً ،وتكبرون عشراً»(٢).وفي رواية ثانية لهذا الحديث أنهم قالوا للنبي ﷺ: (ذهب أهل الدثور بالأجور ...).

وهناك رواية أخرى ترى: أن التسبيحَ ثلاثٌ وثلاثون، والتحميدَ

(١) سورة: طه. الآيات: / ١٢٤-١٢٧ /.

(٢) صحيح البخاري. جـ٨. ص: / ١٣٠ / الحديث رقم: /٢٥/. برواية أبي هريرة رضي الله عنه.

ثلاثٌ وثلاثون، والتكبيرَ ثلاثٌ وثلاثون، ويتمها الذاكر بقوله: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير.

والذكر في هذه المعاني الجميلة يكون سبباً في مرونة الدين الإسلامي وحيويته في العبادات. فقد ورد عن وَرَّادٍ مولى المغيرة بن شعبة، قال: كتب المغيرة إلى معاوية بن أبي سفيان، أن رسول ﷺ، كان يقول في دُبُر كل صلاة إذا سَلَّمَ:

« لا إله إلا الله وحده لا شرك له ، له الملك، وله الحمد. وهوعلى كل شيء قدير. اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ »(١).

الذكر في جماعة و مجالس الذكر:

فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنَّ رَفْعَ الصَّوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة، كان على عهد النبي ﷺ، وقال ابن عباس: (كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته).

تنبيه ورجاء:

وإني لأرجو ألا يلتبس الفهم على البعض من المتسرعين في إطلاق آرائهم الجوفاء التي يظلمون بها الغير عندما يهرفون بما لايعرفون، والذين يجعلون من أنفسهم أوْصِيَاءَ على الإسلام، ومّرة أخرى أوصياء على المسلمين، فيتخذو من هذا الكلام ذريعة لهم، وحجة عليَّ، لتبرير الذكر الذي يرافقه الهَرَجُ والضَّجِيجُ. والقفز والتَّشَنُّج الخالي من كل معنى من

(١) صحيح البخاري . جـ٨ . ص: / ١٣٠ / . رقم الحديث : / ٢٦ / . برواية: ورّادٍ مولى المغيرة بن شعبة رضي الله عنهما.

معاني الخشوع لله، والبعيد كل البعد عن الاحترام والتأدب مع المذكور وهو الله تعالى. فهذا النوع من الأداء للذكر لا يصح ولا يجوز، لعدم توفر الخشوع لله ولعدم وجود التأدب مع الله.

عزيزي القارئ الكريم: ما أحلى مظهر المسلمين المؤمنين في المساجد، فتراهم بعد أداء الصلوات يبقون جالسين في أماكنهم، مستقبلين القبلة. يذكرون الله تعالى، في مجالس الإيمان جماعةً بكل هدوء وأدب وإجلال لله، وتقديس وتعظيم، وكأنَّ على رؤوسهم الطير، تغشاهم السكينة، ويجللهم الوقار، ويسبحون الله ويحمدونه ويكبرونه ويوحدونه، ولهم ملء الحرية في استعمال أية صيغة من صيغ الذكر المشروعة، يرجون الله غفران الذنوب، ويأملون الرحمة، ويطلبون رضوانه سبحانه والجنة.

لقد نقلت إلينا كتب السيرة النبوية أن الأنصار والمهاجرين لمّا حفروا الخندق حول المدينة أخذوا يرددون وهم يحملون التراب على ظهورهم ويقولون:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّداً عَلَى الإِسْلامِ مَا بَقِينَا أَبَداً

وكانوا يرددون أيضاً، أبياتاً أخرى من الشعر، لشاعر الشباب، الصحابي المجاهد، والقائد (عبد الله بن رواحة) رضي الله عنه وهي كما يلي.

اللَّهُمَّ لَوْلا أَنتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلا تَصَدَّقْنَا ولا صَلَّيْنَا
فَأَنزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاقَيْنَا
إِنَّ الأُلَى وَقَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

تراهم يعترفون لله بالفضل على أن هداهم لنعمة الإسلام والإيمان،

ويتضرعون لله ويدعونه، ويطلبون منه أن يثبت أقدامهم في المعركة وأن يهزم جيش الأحزاب أمامهم. وأن ينصرهم عليهم.

وفي رواية: (وَأَهْزِمِ الأَحْزَابَ إِنْ لاقَيْنَا).

حدث كل ذلك على مَسْمَعٍ من رسول الله ﷺ وبحضوره، وثبت عن النبي ﷺ أنه شاركهم في الكلمة الأخيرة فقط من كل شطرة في كل بيت، فمثلاً: قال «اهْتَدَيْنَا، صَلَّيْنَا، عَلَيْنَا، لاقَيْنَا، أَبَيْنَا». فكان عليه الصلاة والسلام، يشاركهم بالقول مشاركة موافقة وتأييد، كما شاركهم بالفعل والحفر، وحمل معهم الأتربة والحجارة. شاركهم عملياً كما شاركهم وجدانياً، وهو واثق بنصر الله على جيش الأحزاب، مطمئن من حصول الفوز والغلبة على المشركين، وقد قال وهو ممتلئ رضىً وسروراً: «اللهم إنَّ الأجرَ أجرُ الآخرة، فَارْحَمِ الأنصارَ والمهاجرة[1]»

وقال رسول الله ﷺ «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يذكرون الله عز وجلّ إلا حفتّهم الملائكة وغشيتهم الرحمة». وفي رواية: «ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»[2]. وفي رواية أخرى: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويدارسونه فيما بينهم إلا حفتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده»[3].

وقال رسول ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا: هلمّوا إلى حاجتكم، قال: فَيُحِفُّونَهُمْ بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم، وهو

(١) حديث نبوي صحيح.

(٢)، (٣) رواه: أبو هريرة رضي الله عنه.

أعلم بهم:

ما يقول عبادي؟

قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك.

قال: فيقول: هل رَأَوْنِي؟

قال: فيقولون: لا والله ما رأوك.

قال: فيقول وكيف لو رأوني؟

قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشدَّ لك عبادة، وأشدَّ لك تمجيداً، وأكثرَ لك تسبيحاً.

قال: فيقول: فما يسألوني؟

قال: يسألونك الجنة.

قال: فيقول: وهل رأوها؟

قال: فيقول: لا والله يارب مارأوها.

قال: فيقول: وكيف لو رأوْها؟

قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصاً، وأشدَّ لها طلَباً، وأعظمَ فيها رغبة.

قال: فَمِمَّ يتعوذون؟

قال: يقولون: من النار.

قال: يقول: وهل رَأَوها؟

قال: يقولون: لا والله ما رأوها.

قال: يقول: وكيف لو أنهم رأوها؟

قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة.

قال: فيقول: فأُشْهِدُكُمْ أنِّي قد غفرتُ لهم.

قال: فيقول مَلَكٌ من الملائكة فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة.

قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[1] وفي رواية: «هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم».

وجاء في الحديث القدسي الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «أنا جليس من ذكرني»[2].

ملاحظة هامة: إن هذا الحوار المتقدم بَيْنَ ذات الحق سبحانه وتعالى، وبين ملائكته عن ذكر عباد الله الصالحين. قد نقله إلينا النبي ﷺ يُعْلِمُ أُمَّتَهُ كيفية العبادة الصحيحة، والذِّكْرِ الحميد لله، ولتتم الصلة القوية للمسلم الصادق مع ربه عز وجل، وتدوم بشكل سليم، وذلك بأسلوب بلاغي بديع وفصيح وجميل.

التحليل أفضل الذكر:

لا إله إلا الله: هذه كلمة الإسلام الجامعة للتوحيد الخالص بكل معانيه. وقد جمعت بين النفي لكل معبود ما سوى الله، وبين الإثْبَات لربوبية الله تعالى ووحدانيته، فقد قال رسول الله ﷺ: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لاإله إلا الله»[3].

---

(١) رواه: أبو هريرة. «صحيح البخاري». جـ٨. ص: / ١٥٥-١٥٦ / الحديث رقم / ٩٩ /. بتصرف في ترتيب الحوار.

(٢) حديث قدسي.

(٣) حديث نبوي.

رياض الجنة:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال:

«يا أيها الناس ارْتَعوا في رياض الجنة، قلنا: يار سول الله، ما رياض الجنة؟.

قال: مجالس الذكر. قال: اغدوا وروحوا واذكروا. من كان يحب أن يَعْلَمَ منزلته عند الله. فلينظر كيف منزلة الله تعالى عنده. فإن الله تعالى ينزل العبد منه. حيث أنزله من نفسه»(١).

فوائد الذكر:

نستخلص من كل ما تقدم الفوائدَ الكثيرةَ. التي يجنيها الذاكرون الصادقون من ذكرهم لربهم سبحانه ونذكر منها ما يلي:

١ ـ إن الله وملائكته يصلون على الذاكرين. بمعنى: إن الله تعالى يرحم الذاكرين له. وإن الملائكة تدعوا الله تعالى لهم بالرحمة.

٢ ـ يخرجهم الله من الظلمات إلى النور.

٣ ـ إن النور الذي يحصل في قلب المؤمن الذاكر هو: الثمرة الحقيقية والجوهرة المكنونة للذكر حتى يصبح المؤمن من الذين ينظرون بنور الله.

لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (المؤمن ينظر بنور الله)(٢).

٤ ـ ويحصل للذاكرين الله كثيراً والذاكرات: أُنْس ولطافة وجاذبية. ونور وروحانية وسكينة ووقار واستجابة للدعاء في الدنيا.

ويجعل الله لهم: رضى وقبولاً وقرباً ووصولاً مع رحمة الله في الجنة في

(١) رواه: جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) حديث نبوي صحيح.

الدار الآخرة. والدليل على ذلك:

قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾(١).

٥ ـ والذكرلله في جَوْفِ الليل مع الصلاة، وقراءة القرآن الكريم والناس نيامٌ، بصدق وإخلاص. تكون جميعها مشهودةً للذاكرين، وشاهدةً لهم.

٦ ـ يجعل الله للذاكرين مقاماً محموداً في الجنة.

٧ ـ يسهل الله لهم في الدارين، ويجعل لهم فيها مَدْخَلَ صِدْقٍ ومَخْرَجَ صِدْقٍ

٨ ـ يتولاهم ربهم بعنايته، ويحرسهم بعين رعايته، ويحفظهم من الأشرار، ومن كل سوء.

٩ ـ ويجعل لهم سلطاناً من قوته، ومعونةً من عنده تفضلاً وإحساناً، ويكون نصيراً لهم في كل آن ومكان. والدليل على ذلك: قول الله تعالى:

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩) وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾(٢).

---

(١) سورة: الأحزاب. الآيات: / ٤٠ ـ ٤٤ /.

(٢) سورة: الإسراء. الآيات: / ٧٨ ـ ٨٠ /.

اعتراف جميل:

قال : (عبد الله بن موسى السلامي) : سمعت (الشبلي) ينشد ويقول :

ذَكَرْتُكَ لاَ أَنِّي نَسِيتُكَ لَمْحَةً ... وَأَيْسَرُ مَافِي الذِّكْرِ ذِكْرُ لِسَانِي

وَكِدْتُ بِلاَ وَجْدٍ أَمُوتُ مِنَ الْهَوَى ... وَهَامَ عَلَىَّ الْقَلْبُ بِا لْخَفَقَانِ

فَلَمَّا أَرَانِي الْوَجْدُ أَنَّكَ حَاضِرِي ... شَهِدْتُكَ مَوْجُوداً بِكُلِّ مَكَانِ

فَخَاطَبْتُ مَوْجُوداً بِغَيْرِ تَكَلُّمٍ ... وَلاَحَظْتُ مَعْلُومَاً بِغَيْرِ عَيَانِ

هداية وترغيب:

قال رسول الله ﷺ : « من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في كل يوم مائة مرة، كانت له عِدْلَ عَشْرِ رقاب، وكُتِبَتْ له مائةُ حسنة، ومُحِيَتْ عنه مائةُ سيئة، وكانت له حِرْزاً من الشيطان يومه حتى يمسي، ولم يأتِ أحد بأفضل مِمّا جاء إلا رجلٌ عمل أكثر منه »(١).

وذكر الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه « إحياء علوم الدين » حديثاً لرسول الله ﷺ فقال : قال رسول الله ﷺ :

« لَتَدْخُلُنَّ الجنَةَ كُلُّكُمْ إلاّ من أَبَى وشَرَدَ عن الله عزّ وجلَ شِرَادَ البعيرِ عن أهله .

فقيل : يا رسول الله من الذي يأبى ويشرد عن الله؟

قال : مَنْ لَمْ يقلْ لا إله إلا الله، فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن

(١) « صحيح البخاري » جـ٨، ص : / ١٥٤ / ، الحديث رقم / ٩٤ / ، من رواية أبي هريرة رضي الله عنه .

يُحَالَ بينكم وبينها، فإنها: كلمة التوحيد، وهي كلمة الإخلاص، وهي كلمة التقوى. وهي الكلمة الطيبة، وهي دعوة الحق، وهي العروة الوثقى، وهي ثمرة الجنة.

وقال الله عزَّ وجلّ: «هَلْ جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسان»(١).

فقيل: الإحسان في الدنيا قول :لا إله إلاالله، وفي الآخرة : الجنة.

وكذا قوله تعالى :«للذين أحسنوا الحسنى وزيادة»(٢)...(٣)

الباقيات الصالحات في ذكر الله:

بعد فرائض الصلوات الخمس هي : كل كلام طيب، وحسن وجميل، والذي يعبِّر عن الحسنات، ممَّا يرضي الله تعالى، كما يرضي نبيّه محمد ﷺ مثل : التهليل، والتسبيح، والتحميد، والتكبير، والبسملة، والحوقلة، وما يلحق بذلك.

١ ـ فالتهليل معناه: لا إله إلا الله.

٢ ـ والتسبيح هو : سبحان الله.

٣ ـ والتحميد كأن تقول : الحمد لله.

٤ ـ والتكبير هو: الله أكبر.

٥ ـ والبسملة هي قولك: بسم الله الرحمن الرحيم.

٦ ـ والحَوْقَلَةُ هي: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) سورة: الرحمن . الآية: / ٦٠ /.

(٢) سورة: يونس . الآية : / ٢٦ /.

(٣) «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي رحمه الله، . جـ ١، ص: / ٢٦٨ /.

ولقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال عن الباقيات الصالحات، إنها: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»(١).

وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً**﴾(٢)

(١) أخرجه ابن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة الكهف. الآية رقم: /٤٦/.

٧ ـ التوبة

تعريفها : قال السادة العلماء عنها :

١ ـ هي اجتناب ذنب سبق منك مثله حقيقةً أو تقديراً .

٢ ـ هي الرجوع من البعد عن الله إلى القرب إليه سبحانه .

٣ ـ وهي واجبة من كل ذنب .

٤ ـ ويقول : أبو القاسم عبد القادر بن هوازن القشيري في رسالته مَانَصُّهُ :

« **التَّوْبَةُ** : انتباه القلب عن رقدة الغفلة، ورؤية العبد ماهو عليه من سوء الحالة . . .

فإذا فكر بقلبه في سوء ما يصنعه ، وأبصر ما هو عليه من قبيح الأفعال، سَنَحَ في قلبه إرادة التوبة والإقلاع عن قبيح المعاملة . .[١] » .

نستنتج من هذه التعاريف ما يلي:

أ ـ أن التوبة لا تكون إلا بعد اقتراف إثم، أو ارتكاب خطأ ، سواء أكان قولاً أم فعلاً .

ب ـ أو ناتجة عن سوء نية ،وفساد قصد ، لذا يقول رسول الله ﷺ :

« كلُّ ابنِ آدمَ خَطَّاءٌ،وخيرالخطائين التَّوَّابُونَ »[٢] .

---

(١) « الرسالة القشيرية » لأبي القاسم القشيري، ص: / ٤٦ / .

ومعنى : سَنَحَ : رأى ، عَرَضَ . وبابه خَضَعَ . فتقول مثلاً: سَنَحَ لي رَأيٌ: بمعنى: عَرَضَ لي .

انظر قاموس: مختار الصحاح . للإمام الرازي . مادة (س ن ح)، ص/ ٣١٦ / .

(٢) حديث نبوي صحيح .

جـ ـ وأن المؤمن كما يصيب، فإنه يخطئ أيضاً.

د ـ وفي حال وقوع الخطأ من الإنسان، يجب عليه المبادرة في الحال إلى التوبة عما اقترفته يداه، وينيب إلى ربّه، بعد أن يصالح إيمانه مرة ثانية، ويمسح عن مرآة عقيدته غبار المعاصي بل ومن أولى الواجبات عليه أن يكون دائماً مراقباً لله تعالى في كافة أقواله وأعماله، وحركاته وسكناته.

فالله سبحانه وتعالى. لايكلف أحداً بالعصْمَة مادون النّبوة. فإن أخطأ المؤمن فعليه أن يتوب إلى رشده وصوابه، وأن يندم على سوء صنيعه، فيتوب إلى الله توبةً نصوحاً، ويطرق باب الرجاء وهو يستغفر الله راضياً راجياً عفوه ومغفرته لقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾(١).

﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾(٢).

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾(٣).

---

(١) سورة: الرعد. الآيات: / ٢٢ ـ ٢٤ /.

(٢) سورة النساء. الآية: /١٠٦/.

(٣) سورة: النساء. الآية: /١١٠/.

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١) اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(١).

﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾(٢).

﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣).

---

(١) سورة: الزمر. الآيات: / ٥٣ ـ ٦٣ /.

(٢) سورة: هود. الآية: / ١١٤ /.

(٣) سورة: التوبة. الآية: / ١٠٢ /.

﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾(١).

ولقد كان بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، يقولون بعد وفاة الرسول ﷺ: (كان لنا إِمَامَانِ :ذهب أحدهما، هو كَوْنُ الرسول فينا، وبقي الاستغفار معنا، فإن ذهب هَلَكْنَا).

إن الإنسان باستطاعته من وجهة نظر الإسلام ـ أن يتوجه مباشرة إلى ربه، نادماً طالباً المغفرة، معلناً توبته إلى الله تعالى رب العالمين. ليفتح الله له باب الرحمة، ويمنحه العفو والمغفرة، فيجد الله غفوراً رحيماً؟ وصدق الله العظيم إذ يقول في قرآنه المجيد:

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢).

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾(٣).

كلمة لابد منها:

قد يظن بعض الجهلاء، أو المستهترين من الذين يريدون أن يلتمسوا لقبح

(١) سورة: هود . الآية : / ٣ / .

(٢) سورة: الأنعام . الآية : / ٥٤ / .

(٣) سورة: طه . الآية : / ٨٢ / .

أفعالهم وأقوالهم المعاذير، والمبررات لجرائمهم وآثامهم، ليزدادوا ضلالاً فوق ضلالهم، وإمعاناً في اقتراف المحرمات، وشذوذاً عن صراط الله المستقيم، أنهم بسهولة يذنبون، وبسهولة يتوبون، وكأنَّ التوبة ملك يمينهم، ويحوزونها متى أرادوا، فيبادرون إلى استحلال مانهى الله عنه، ثم يتواكلون إلى رحمة الله يوم القيامة مستغلين لها، ومخالفين بهذا الاستغلال أحكام الشريعة الإسلامية، من غير أن يقلعوا عن أفعالهم السيئة، ومن غير أن يتوبوا لله توبة نصوحاً، فلم يستغفروا الله من ذنوبهم، ناهيك عن غيّهم وضلالهم وتماديهم في انتهاك الحرمات، وتقاعسهم عن أداء الفروض والواجبات، مما لا يقبله عقل ولا يقرُّه دين.

أنواع المعاصي: إن المعصية التي تستوجب التوبة لله، مع عقد العزم على ألا يعود التائب منها إلى مثلها أبداً، نوعان هما:

النوع الأول: معصية الإنسان لربه تبارك وتعالى.

النوع الثاني: جملة المعاصي التي تتعلق بحقوق الناس.

لذا والحالة هذه يجب أن نعرف، ماهي شروط قبول التوبة في الإسلام؟ وماهو أساسها؟

شروط التوبة الصحيحة:

لو رجعنا قليلاً إلى النوع الأول من المعاصي، نجد أن المعصية التي صدرت من الإنسان إنما هي خطأ وتقصير منه بحق ربه تبارك وتعالى عليه، وقد فَرَّطَ بها في جنْب الله، فلها ثلاثة شروط كما يلي:

الشـرط الأول: أن يقلع الإنسان عن المعصية التي كان متلبساً بها.

الشـرط الثـاني: أن يندم على فـعلهـا، من حـيث إنهـا مـعـصـيـة، وذنب مشؤوم، يوجب عذاب الله وعقابه في الآخرة.

الشـرط الثالـث: أن يعـقـد التـائبُ لربه العـزمَ على ألا يعـود إليـهـا ،ولا إلى مثلها أبداً، وذلك مرضاةً لله تعالى.

فلو أقلع العاصي عن الذنب خوفاً من الناس ورياءً ، أو خوفاً من عـقـاب السلطة الحاكـمة فإن هذا الترك للذنب لا يُعْتَدُّ به من وجـهـة نظر الشـريـعـة الإسلامية.

ملاحظة هامة:

ومما تجـدر الإشـارة إلـيـه ومـلاحظتـه بعناية تامـة أنه: إذا فُـقِـدَ أحـد الشـروط الثلاثة المتـقـدمـة من شـروط التـوبة الصـحـيـحـة فـإن التـوبة تكون ناقصـة الشـروط المشروعـة وتعـد شـرعـاً غـيـر مـقـبـولة، لأن الإسـلام دين لا يقبل من الأعمال إلا ما كان منها صحيحاً ومشروعاً، وبهذا يكون الإسلام قد قطع الطريق على كل من تسوِّل له نفسـه الأمـارة بالسـوء؛ باسـتـغـلال الدين أو تشويه معالمه ومبادئه وأحكامه.

شروط التوبة من المعصية التي تتعلق بحقوق الناس:

وأما النوع الثاني من المعاصي والتي تتعلق بحقوق الناس، فيما إذا اعتدى واحد من الناس على هذه الحقوق فشروط التوبة منها أربعة: كما يلي:

١ ـ الشروط الثلاثة المتقدمة.

٢ ـ ويضاف إليها: شرط رابع وهو أن يبرأ التائب من حق صاحبها؛ فيجب عليه أي يسترضي جميع الذين أصابهم الضرر منه بقدر إمكانه.

فإن كانت مالاً أو غيره ردَّه إلى صاحبه.

ـ وإن كان حَدَّ قذْفٍ مكَّنه منه، لإقامة الحدِّ عليه، أو طلب العفو منه والمسامحة فَقَبِلَ المعتدى عليه ذلك وسامح المعتدي فعلاً.

ـ وإن كانت غِيبَةً استحلَّها منه حتى يحصل ـ فعلاً ـ على المسامحة.

وعلى أيَّة حال يجب على التائب من جميع الذنوب أن يستكمل شروط توبته الصحيحة، وقد تظاهرت وتضافرت دلائل الكتاب الكريم، والسنة النبوية، وإجماع الأمة على وجوب التوبة.

فقال تعالى: ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾(١).

فمن كانت توبته صحيحة مستكملة شروطها المشروعة، فإن الله تعالى يقبلها ويغفر جميع سيئات صاحبها، ويدخله يوم القيامة في الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، ويبقى هذا التائب الواصل مع الخالدين فيها أبداً، ويسعى نورهم بين أيديهم، كما يسعى بأيمانهم، وهم يتمنون راجين من الله أن يتمم عليهم هذا النور، وهو على كل شيء قدير. وتباركت أسماء الله وتعاظم فضله إذ يقول:

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ**

---

(١) سورة: النور الآية: / ٣١ / . **ملاحظة**: تكتب كلمة: (أيُّهَ) بدون حرف الالف بعد حرف: (الهاء) الذي حركته الفتحة،، وذلك كما نزلت في الآية الكريمة رقم (٣١) من سورة النور.

سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١).

أما من فاتهم جواد السَّبْقِ في ساحة التوبة وفسحة العمر الطويل ولم يتوبوا حتى إذا حضر أحدهم الموت، الذي لا مناص منه، تندموا على ما فَرَطَ منهم، ولم يبق مجال للتوبة والعمل الصالح ولاتَ ساعة مندم، أولئك الناس ممن أعدَّ الله لهم الخزي والعار، والعذاب والنار، يوم القيامة، فقال جلّ جلاله:

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٢).

سبيل التوبة وأساسها:

وأما سبيل التوبة وأساسها فهو الاستغفار، وقد أوردنا مستشهدين في هذا البحث عدداً من الآيات التي تعالج هذا الأساس وتوضحه بالشكل التالي:

---

(١) سورة: التحريم: الآية: / ٨ /.

(٢) سورة: النساء. الآية: / ١٧ ـ ١٨ /.

٨ ـ الاستغفار

هو طلب المغفرة من الله تعالى والعفو والمسامحة، وهو سبب وأساس قبول التوبة النصوح، والإسلام جعل فرصة التطهر والتخلص من الآثام ممزوجة بالتزود من عمل الخير، ووسيلة لنيل رحمة الله، ونيل الخيرات والعطايا في الدنيا، فيقول سبحانه وتعالى على لسان نبيّه (نُوحٍ) عليه السلام: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا** ﴾(١).

عزيزي القارئ: إن التوبة تُعَدُّ من أهم الدعائم الخلقية في الإسلام؛ فكل تأخير فيها وتقاعس عن تنفيذها، أو عدم تقويم لإعوجاج الإنسان، حتى يسير في طريق الهدى والرشاد هو انهزام في معترك الحياة، وتخاذل ومجانبة للحقيقة وبُعْدٌ عن الواقع. لأن التوبة سبب قوي من أسباب القضاء على الشرور والأهواء والنزوات، والملذات المحرمة.

وإني لأرى: أن التائب من ذنبه توبة صادقة مخلصة لله، هو إنسان شجاع، يستطيع أن يكبح جماح نفسه الأمارة بالسوء، ولديه القدرة على أن يجابه الواقع، ويعترف بالحقيقة، ويمتلك القدرة التي يرتفع بها من حضيض السيئات وبؤرة الذنوب إلى سُدَّةِ الرفعة والكرامة، والعفة

(١) سورة: نوح. الآيات: /١٠ ـ ١٢/.

والشرف، وتراه يعود بتوبته إلى أصل نقاوته وطهارته الأولى، وهذا العَوْدُ أَحْمَدُ، وتوبةٌ بهذا الشكل الحميد إنما هي هِبَةٌ من الله تعالى لمثل هذا الإنسان التائب، وتحصل له تَفَضُّلاً من الله، وإحساناً وَمِنَّةً.

اسمعوا ما يقوله سيد العالمين، وأمام الأنبياء والمرسلين محمدٌ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوب في اليوم مائة مرة»(١).

ويقول أيضاً عليه الصلاة والسلام: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»(٢).

ماهي ثمرة التوبة؟

إن الثمرة المرجوة من التوبة النصوح هي العمل الصالح الذي يفيد التائب نفسه، كما يفيد أسرته ومجتمعه وأمته، وإن شئت قُلْتَ والناس جميعاً، حتى يرتقي الأمر به إلى مستوى الإنسانية المثالية، والقرآن الكريم في معالجته لهذه الناحية الهامة في حياة الناس، قد قرن التوبة الصحيحة بالعمل الصالح، فقال تعالى:

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾(٣).

مقارنة بين المؤمن والفاجر: جاء في إحدى روايات الحديث النبوي ما يلي:

حدثنا: أحمد بن يونس، حدثنا: أبو شهاب عن الأعمش، عن عمارة بن

(١) «صحيح مسلم». رواه: الأغرُّ بن يسار المزني رضي الله عنه.

(٢) «صحيح البخاري». رواه: أبو هريرة. رضي الله عنه.

(٣) سورة: طه. الآية / ٨٢ /.

عمير عن الحارث بن سويد. حدثنا عبد الله بن مسعود حديثين؛ أحدهما: عن النبي ﷺ، والآخر عن نفسه فقال ﷺ:

«إن المؤمن: يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه.

وإن الفاجر: يرى ذنوبه كذباب مَرَّ على أنفه فقال به هكذا». قال أبو شهاب بيده فوق أنفه. ثم قال: «للهُ أفرحُ بتوبة عبده من رجل نزل منزلاً وبه مَهْلَكَةٌ، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومةً، فاستيقظ، وقد ذهبت راحلته، حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش، أو ما شاء الله، قال: أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومةً، ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده»(١).

وقال ﷺ في حديث آخر:

«الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره، وقد أضله في أرض فلاة»(٢).

(١) صحيح البخاري، جـ٨، ص: / ١٢١ /، الحديث رقم: / ٤ /. رواه: عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه.

(٢) «صحيح البخاري» جـ٨، ص: / ١٢٢ /، الحديث رقم: / ٥ /. رواه: أنس بن مالك، رضي الله عنه.

٩ ـ التقوى

معناها: الحماية والخلاص بدليل قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾(١).

وكلمة (التقوى) جاءت من: وَقَى يَقِي وِقَايَةً، ومنها: تَوَقَّى السهم وَاتَّقَاهُ: إذا صدَّه بدرعه وترسه.

ويقول رسول الله ﷺ عنها «التَّقْوَى: جِمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ»(٢).

أقوال بعض العلماء في التقوى:

وللعلماء أقوال كثيرة في تعريف كلمة التقوى، وإظهار معانيها ومقاصدها وأهدافها ونتائجها، يرسمونها في صور بلاغية جميلة، تدل على العمق في الفهم، وبلاغة الإيجاز، فمنها مثلاً:

١ ـ التقوى: هي الطاعة، وفعل كل ما أمر الله به، وترك كل مانهى عنه.

٢ ـ أن يتقي الإنسان كل شيء ما سوى الله.

٣ ـ وهي الابتعاد عن كل فعل أو قول يبعد الإنسان عن ربه.

٤ ـ التقوى عمل بطاعة الله، على نور من الله، مخافة عقاب الله.

---

(١) سورة: التحريم. الآية: / ٦ /.

(٢) حديث نبوي صحيح.

لذا يقول رسول الله ﷺ : « لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لابأس به مخافة ممّا به بأس »(١).

وفي هذه المعاني الجميلة للتقوى نقول:

التقوى: كلمة جاءت من الوقاية والحماية، وهي السبيل السليم والصحيح، والدرع الحصين للمؤمن الذي يحمي الإنسان التَّقِيَّ من الشرك والضلال، والبدع والخرافات، وتنقذه من شر النفس الأمارة بالسوء حتى لا يندفع وراء الملذات المحرمة، التي تخرجه عن صراط الله المستقيم، وتحصنه من خطر الوقوع في شباك الشيطان الرجيم، وتجعله في النهاية طاهراً عفيفاً مستقيماً، يسير في طريق الهداية والرشاد، على نور من ربه، فتوصله إلى باب القرب من الله، فينال رحمته وقبوله ورضاه في الجنة.

محلها :

يقول رسول الله ﷺ : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم. التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا وأشار إلى صدره »(٢).

يستفاد من هذا الحديث أن التقوى محلها في: القلب، لأنه عليه الصلاة والسلام أشار ثلاث مرات إلى قلبه. مؤكداً بالقول: (التقوى هاهنا)، ولأن المعوّل على ما في القلب والعمل الصالح، لا على المظاهر

(١) رواه: الترمذي وحسنه، وابن ماجة، والحاكم وصححه من حديث: عطية السعدي.

(٢) حديث نبوي صحيح.

البراقة الخادعة، فالإسلام دين يبني كيانه على أساس متين من التقوى لله والعمل الصالح في الحياة، وينطلق من نقطة البدء، نقطة القلب والعقل والضمير، والإسلام بدأ الإصلاح للناس والمجتمع والحياة من الداخل لا من الخارج، فجاء إيمان أصحابه قوياً ، قوةَ الحق والعدل، راسخاً رسوخ الجبال الصُّمِّ الصِّلاب، شامخاً في عُلُوٍ وارتفاع بلا حدود، عزةً ومجداً، فقد كتب الله له الحفظ والسلامة، والبقاء إلى يوم البعث المعلوم.

فقلب المؤمن التقي هو مستقر الإيمان ومستودعه ، ومركز الإشعاع والنور، ومصدر الحركة، التي تصدر عن الإنسان، وتحدد صلاحية أعماله أو عدمها، والقلب هو المحرك الأول والوحيد لتصرفات الإنسان. فبقدر ما يكون القلب ممتلئاً إيماناً وتقوىً، بقدر ما تكون أعماله وأقواله صالحة.

أصل التقوى:

يمكننا أن نرجع أصل التقوى إلى أربع درجات، وهي:

١ ـ أن يتقي الإنسانُ الشركَ والوثنيةَ، وكلَّ سبيل أو طريق مشوبة بأفكار، أو عقائد غير إسلامية ، وغير صحيحة، لأن دعوة الإسلام قائمة على التوحيد الخالص لله، ولا تتفق مع شيء سواه.

٢ ـ أن يتقي المعاصي والسيئات بكل أنواعها صغيرة كانت أم كبيرة، خفية أم جلية، قولاً أو عملاً.

٣ ـ كذلك يتقي الشبهات التي تدل على المعاصي، أوتَجُرُّ إليها بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

فترك الشبهات من الوَرَعِ والدين. والوَرَعَ: هو أسمى معاني التقوى المقرونة بالصلاح، والعلم النافع المستفاد من القرآن الكريم والسنة النبوية.

٤ ـ وأخيراً، يجب على الإنسان أن يدع سفاسف الأمور، وبسيط الأقوال، وواهن الأعمال التي لا تنسجم مع سلوك الفرد المسلم، ولا تجديه نفعاً، وإن كانت أقل درجة من الشبهات.

ولذلك يأمرنا ربنا تبارك وتعالى بالتقوى الحقيقية، كما يريدها ويرضاها، فيقول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١)

ويستفاد من هذه الآية: أنه يجب أن يطيع المؤمنون ربهم إطاعة كاملةً، ولا يعصونه بعدها، ويذكرونه دائماً ذكر من لا ينسى مولاه وخالقه، ويشكرونه على إفضاله ونعمائه شكر من لا يتطرق إلى قلبه كُفْرٌ بربّه أو جحود، أونكران للجميل.

حقيقة التقوى:

أن يكون المؤمن التقي، دائم التحرز من الوقوع في الغفلة والشطط، أو التقصير في جنب الله، أَوْ ارتكاب الفعل المخالف لأوامره سبحانه وتعالى، وذلك بذكر الله عز وجل، وتدرعاً بطاعته السليمة، ومراقبته الحقيقية، محافظة على الطهر والنقاوة والنور الذي حصل في قلبه ونفسه وروحه، بسبب إيمانه بالله وتقواه. فالله تبارك وتعالى قد امتَنَّ على عباده المؤمنين الأتقياء. فنوَّر قلوبهم وبصيرتهم، وزكّى نفوسهم، فسمت أرواحهم، ولله

(١) سورة: آل عمران. الآية: /١٠٢/.

دَرُّ الشاعر (١) إذ يقول:

صَافَاهُمُ فَصَفَوا لَهُ فَقُلُوبُهُمْ مِنْ نُورِهَا المِشْكَاةُ والمِصْبَاحُ

من هو التقي؟

التَّقِيُّ: هو كل مسلم مؤمن قائم بتنفيذ ما أمر الله به، ومبتعد عن كل مانهى الله عنه، مستقيم في سلوكه في الحياة لايدنس ظاهره بالرذيلة، ولا يفسد باطنه بوساوس الشيطان والأفكار الخبيثة، مُتَّقِيَاً بصدق يقينه وسليم عقيدته، وصافي نيته: الأمراض النفسية، والأدواءالقلبية، وأن يكون صادقاً مع ربه قولاً وعملاً، ظاهراً وباطناً.

علامة التقوى:

يستدل العلماء على تقوى الرجل، واذا تحققت فيه ثلاثة شروط، كمايلي:

الشرط الأول: أن يكون حسن التوكل على الله في كل شيء، قوي الثقة بربه. مع اتخاذ الأسباب المشروعة.

الشرط الثاني: أن يسلِّم لقضاء الله وقدره ويرضى به.

الشرط الثالث: أن يتجمل بالصبر على مافات، وأن يكون متفائلاً كبير الأمل لِما هو آتٍ.

---

(١) **الشاعر**: الشيخ عبد الغني النابلسي، وهذا البيت من قصيدة مطلعها:

أَبَداً تَحِنُّ إليكمُ الارواحُ ووصالُكم رَيْحَانُهَا والرَّاحُ

الأمر بالتقوى وصفات المتقين:

تعالَ معي ـ أيها القارئ الطيب ـ وَضَعْ يدَك في يدي لندخل روضةً من رياض الإسلام، ولْنُقَلِّبْ سويةً صحائف القرآن الكريم بكل أدب واحترام، ولنقرأْ في خشوعٍ لله آياته البينات الواضحات المحكمات، التي تحث على وجوب التمسك بالتقوى، والاتصاف بأخلاقها، حتى نهتدي بها ونسترشد في هذه الحياة بهداها. وليكن منها على سبيل المثال قول الله تعالى:

١ ـ **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾** (١).

٢ ـ ثم تتحدث آيات القرآن الكريم عن (البِرِّ) الذي هو من صفات المؤمنين الصادقين المتقين، فقال الله تعالى:

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾(٢).

٣ ـ فالعدل صفة المتقين، الذين يخشون ربهم، فلا يَظْلِمُونَ أنفسهم ولا يظْلِمُونَ غيرَهم أبداً، فقال تعالى:

---

(١) سورة: آل عمران. الآية: / ١٠٢ /.

(٢) سورة: البقرة. الآية: / ١٧٧ /.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(١).

٤ ـ ويضاف إلى ما تقدم ضرورة معاملة الغير بالمثل في الاستقامة ، لأن الله يُحبُّ المتقين فقال الله تعالى:

﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾(٢).

نتائج التقوى وفوائدها:

نتائج التقوى عملية ومفيدةٌ للإنسان، الذي أحكم الصلة مع ربه بعقيدته وعبادته، فتظهر آثارها العظيمة في دنيا الإنسان، وفي آخرته، ونذكر منها على سبيل المثال:

١ ـ إن المتقين هم أولياءُ الله، لهم البشرى في حياتهم الدنيا وفي الآخرة، وأن لاخوف عليهم من الفتنة والعقاب، لأنهم في أمان الله وحرزه وحفظه، قال الله تعالى:

﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٣).

---

(١) سورة : المائدة . الآية : / ٨ / .

(٢) سورة: التوبة . الاية: /٧/ .

(٣) سورة: يونس . الآيات : / ٦٢ ـ ٦٤ / .

٢ ـ إن الله تعالى يكتب لهم الرحمة الواسعة ، فقال تعالى :

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾(١) .

٣ ـ يجعل الله للتقي مخرجاً في كل أموره ، وتيسراً مع الرزق، قال تعالى :

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾(٢) .

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾(٣) .

٤ ـ وتكون وراثة الأرض للمتقين، لأن لهم العاقبة، قال سبحانه وتعالى :

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(٤) .

وقال الله الملك الحق المبين: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾(٥) .

٥ ـ ويحصل للمتقين كنتيجة لتقواهم وصدقهم مع ربهم تنويرٌ للبصيرة،

---

(١) سورة: الاعراف . الآية : / ١٥٦ / .

(٢) سورة: الطلاق . الآيتان: / ٢-٣ / .

(٣) سورة: الطلاق . الآيتان : ٤-٥ / .

(٤) سورة: الاعراف . الآية: / ١٢٨ / .

(٥) سورة: الانبياء . الآيتان: / ١٠٥-١٠٦ / .

ونورٌ في القلب، يستطيعون بواسطته بعد أن تفضل الله به عليهم أن يفرقوا بين الحق والباطل في كل شيء.. فقال الحكيم الحميد:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾(١).

٦ ـ وتحصل لهم المَعيَّةُ، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨) ﴾(٢). ويقول أيضاً:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٣).

٧ ـ إن معظم ما تقدم من فوائد ونتائج يحصل عليها المتقي في حياته الدنيا. أما نتائج التقوى وفوائدها، والتي يحصل عليها في حياته الأخرى، فكثيرة جداً، منها: كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾(٤).

٨ ـ كما وصل المتقون إلى مستوى المثالية الحقة في أعمالهم وأقوالهم؛ في هذه الحياة الدنيا فإن نفوسهم قد تَزَكَّتْ بالذي تَزَكَّتْ به نفسُ محمد

---

(١) سورة: الأنفال. الآية: / ٢٩ /.

(٢) سورة النحل: الآية: / ١٢٨ /.

(٣) سورة: الحديد. الآية: / ٤ /.

(٤) سورة: النبأ الآيات / ٣١ ـ ٣٦ /.

رسول الله ﷺ، وسمتْ أرواحهم بالذي سمت به روح محمد عليه الصلاة والسلام، فأصبحوا نجومَ هدايةٍ ورشادٍ،و دعاةَ حقٍّ وخيرٍ، ودينٍ وعقيدةٍ،ويعبدون الله آناء الليل وأطراف النهار، وكانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، بالصلاة وقراءة القرآن والذكر الحميد عندما يكون الناس نياماً، ويفتتحون الصباح بالتسبيح والاستغفار، ويختمونه كذلك، فهم عناصر خير ومعروف، ويشاركون الناس المحتاجين معهم في أموالهم، لا يردون طلباً لأحد، ولا يحرمون سائلاً ولا محروماً، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾(١).

٩ ـ وتكون التقوى شعارَ المؤمنين، ودثَارَ المتقين في الدنيا، وزادهم يوم القيامة، لذا أمرنا الله بالتزود منها في حياتنا، فقال العليم الخبير في كتابه العزيز:

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ (٢).

١٠ ـ فالله المنّان المتفضل يكسب عباده الواصلين الأتقياء رجاحةً في

(١) سورة: الذاريات. الآيات رقم: / ١٥-١٩ /.

(٢) سورة: البقرة. الآية: / ١٩٧ /.

العقل، وسداداً في الرأي، ويجعل كل أعمالهم صالحةً تفيدهم، ويستفيد منها المجتمع والناس عامة في هذه الحياة، ويغفر لهم ذنوبهم يوم القيامة، فمن نال هذه المواهب والمكاسب. فهو لا شك سيكون من الفائزين يوم الدين. لذلك يقول الله رب العالمين: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً** ﴾[1].

نصيحة:

ولله دَرُّ الشاعر[2] إذ يقول:

تَزَوَّدْ من التُّقْوَى فإنَّكَ راحلُ ... وَسَارِعْ إلى الخَيْرَاتِ مَعَ مَنْ يُسَارِعُ

فَمَا المالُ والأَهْلُونَ إلاَّ وَدائعُ ... ولابُدَّ يَوْماً أنْ تُرَدَّ الوَدَائعُ

فَكُنْ صالحَ الأعمالِ حُرّاً وصَادِقاً ... ففي الصِّدْقِ في كُلِّ الأمورِ مَنَافِعُ

وإيَّاكَ والكِبْرَ الْمُشِينَ لأَهْلِهِ ... فَكَمْ رَفَعَ الإنسانَ يَوْماً تَوَاضُعُ

وَحَسِّنْ بِرَبِّ الخَلْقِ ظَنّاً ولا تَسَلْ ... سِوَاهُ فَبِالرَّزَّاقِ مَاخَابَ طَامِعُ

---

(١) سورة: الأحزاب. الآيتان: / ٧٠ ـ ٧١ /.

(٢) لم أقف لهذه الأبيات على قائل، فمن عرفه فالرجاء أن يفيدنا باسمه مشكوراً، (مع الإشارة إلى المصدر) كان هذا الكلام في البداية عند تأليف هذا الكتاب أما الآن فإليك الملاحظة التالية:

ملاحظة: وفي يوم الخميس ١٥/٧/١٤٠٥ هـ الموافق ٤/٤/١٩٨٥ الساعة السابعة والربع مساءً ومن خلال مطالعتي الخاصة وجدت البيتَ الثاني الذي يقول:

(فما المال والأهلون إلا وَدَائِعُ ... وَلابُدَّ يوماً أن تُرَدَّ الودائع)

في الفقرة [٢٣٤] في الصفحة [٣٣٠] من كتاب «الإيضاح في علوم البلاغة» للخطيب القزويني المتوفى عام (٧٣٩) هـ بشرح وتعليق وتنقيح الدكتور: محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الخامسة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م أن الشاعر القائل هو: [لبيد بن ربيعة العامري] الشاعر الجاهلي.

١٠ ـ حسن الظن بالله

الظَّنُّ بصورة عامة معناه: الشَّكُّ، وهو يحتمل قولين في أي أمر من الأمور، ويقوم دائماً بين النفي والإثبات، حتى يلحق به رأي راجح فينقلب من ظن إلى يقين، أو يلحق به رأي مرجوح فينقلب من ظَنٍّ إلى نَفْيٍ للشيء وعدم تصديق به.

صُوَرُهُ: والظن في موضوعنا نرجعه إلى ثلاث صور:

الصورة الأولى:

أ ـ إمّا إلى صفة الحُسْنِ: فيكون الظن قد انتقل إلى مرحلة اليقين والتصديق الجازم وسلامة النية، وصفاء السريرة، ونقاوة الضمير، واستنارة العقل، وسعة الفكر، وطيب القلب وزكاة النفس وإشراقها، وسمو الروح وجلالها وجمالها ورفعة الأخلاق وفضيلتها، المنبعثة جميعاً من العقيدة الإسلامية الصحيحة ، عقيدة التوحيد الخالص لله تبارك وتعالى.

الصورة الثانية:

ب ـ وإمّا إلى صفة السُّوء : وهي عكس الأولى تماماً.

الصورة الثالثة:

جـ ـ وهي صفة المبالغة في الخوف من الله تعالى، ومن عذابه يوم القيامة، والمبالغة: تخرج عن المفهوم الشرعي الذي جاء به الدّين الحنيف، دون الأخذ بعين الاعتبار والنظر إلى الرجاء في العفو والمغفرة من ربنا سبحانه، وهذا النوع من الظن ما يقرب من سوء الظن برحمة الله وغفرانه، وهذا لا

يجوز شرعاً، حتى ولو صدر من الإنسان دون قصد ولا سوء نية، لأن الواجب الشرعي يحتم على الإنسان أن يرجو رحمة الله كما يخاف في الوقت نفسه من عذاب الله. إذاً، فالمؤمن موقفه وسط معتدل بين الخوف والرجاء.

والظن في صوره الثلاث: الحسن، والسوء، والخوف الشديد، له صلة وثيقة واعتبار زائد، وارتباط لا ينفصم، وهو حلقة واصلة فيما بين العبد وربّه.

حسن الظن بالله:

يجب على الإنسان أن يحسن الظن بربه وخالقه في كل أموره وأحواله، بأنه سبحانه وتعالى المدبر والخالق والمنشئ والقدير، لا راد لحكمه، وإذا أراد شيئاً، فإنما يقول له كن فيكون، ولا مبدل لقضائه إذا قضى أمراً، بيده تصاريف الأمور، والحياة والموت، يحيى فيها من يشاء، ويقبض إليه من يريد، في كل حين، وفي كل مكان، وأيٍّ إنسان.

فالإنسان الذي يعمر الإيمان قلبه تراه يشع نوراً وضياءً مشرقاً من زجاجة قلبه، فتلمح من خلالها حسنَ الظن بالله، في عفوه ومغفرته، وفي جوده وكرمه، إلى آخر ما هنالك من صفاته الثابتة، وكمال أسمائه الكريمة.

فإذا ما أدرك الموتُ الإنسانَ على حين غرَّة، وهو على هذه العقيدة الصحيحة، والنية السليمة، وحسن الظن بالله الكبير المتعال، حتى يَلْقَى الله عليها، فإن الله تعالى يجزل له العطاء، ويضاعف له الأجر والثواب، ويسبغ عليه الرحمة، فيكون بعد ذلك من عباد الله الفائزين والناجين، يوم تدقق صفحات أعمال الناس، ويحاسبون على أقوالهم وأعمالهم يوم الدين.

فحسن الظن بالله. يُولِّدُ فينا طاقة قوية من الإيمان، وقدرة عظيمة على العمل لتحقيق المقاصد النبيلة، والأهداف السامية ، حيث يجعلنا نعتقد أن الله ربنا ، هو الإله القوي الذي لا يغلبه غالب، ولا ينجو منه هارب، وهو العزيزُ الذي لا يقهر، الحكيمُ الذي يدبر الأمور، وينظم الأحوال، المعينُ الذي يأخذ بأيدي عباده المؤمنين الصادقين، والمجدين العاملين، فيوصلهم في حياتهم إلى شاطئ السلامة، لينعموا في حظيرة الإسلام بالأمن والطمأنينة والاستقرار، ويدفع عنهم كل خوف، ويحفظهم من كل سوء، وكذلك يحفظهم من غدر المعتدين، وتسلط الظالمين، ويكتب لهم النصر ولعقيدتهم المجد والخلود.

وإني أرى : أن حسن الظن بالله بمفهومه الشرعي هو نفسه المعنى الحقيقي للتوكل على الله، والاعتماد عليه سبحانه وتعالى، مع مراعاة الأخذ بالأسباب المشروعة والمعقولة.

ولا أدلّ على ذلك مما قاله إمام المتوكلين على الله، الذين يحسنون الظن بالله، ومرشد الدعاة، ومربي الحياة الإنسانية، والهادي البشير محمد رسول الله ﷺ لأبي بكر الصديق رضي اللهُ عنه، يوم كانا في غار ثور(١):

« يا أبابكر ما ظنُّك باثنين الله ثَالِثُهُمَا؟ »(٢). وحتى يسكن النبي عليه الصلاة والسلام رُوع قلب صاحبه، ويبدد خوفه على العقيدة والرسالة والنبي، قال له ﷺ : « لاتَحزَنْ إنَّ الله مَعَنَا »(٣).

(١) **غار ثور**: اسم المكان الذي اختبأ فيه النبي ﷺ ومعه صاحبه أبو بكر رضي الله عنه ليلة الهجرة، وهو قريب من مكة المكرمة.

(٢) حديث نبوي.

(٣) حديث نبوي.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ، يقول الله تعالى في الحديث القدسي:

«أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه، إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ، ذكرته في ملأٍ خَيْرٍ منه، وإن تقرب اليّ شِبْرَاً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه بَاعَاً، وإن أتاني يمشي أتيته هَرْوَلَة»(١).

سوء الظن بالله ونتائجه:

فمسيء الظن بربه لا يأمن مكر الله، ولا يأمَنُ منْ أن يدركه الموت، ولو كان في بروج عصيانه، وسياج طغيانه، ليحطم في نفسه ذلك العنفوان والكبرياء، ليلاقي جزاء ما اقترفت يداه في صدوده وإعراضه عن الله. لأن مثل هذا الإنسان يكون قد قطع الصلة الوثيقة مع الله بسوء ظنه، وفساد نيته، وخبث مقصده، فجاءه الموت وهو على هذه الشاكلة، فَيُحْشَرُ كذلك على ما مات عليه،فخسر الدنيا والآخرة، فحق عليه العذاب، وبعد تدقيق الحساب عليه بالعدل الإلهي يكون من الهالكين ـ والعلم عند الله ـ وماذاك إلا لأنه فقد الثقة بالله تعالى.

وأما الخوف الشديد من الله:

لدرجة المبالغة الزائدة عن المعقول، والمتجاوزة لحدود الشرع يؤدي بالنتيجة إلى إساءة الظن بالله، لعدم قبوله طاعة من الطاعات، أو أي عمل من

(١) «صحيح البخاري» جـ٩ .ص / ٢١٦ / . الحديث رقم / ٣٤ / . من رواية: أبي هريرة رضي الله عنه.
«اتيته هرولة» المقصود منها: إسراعاً في إجابة الدعاء. ولا يغيبن عن البال ان الحديث القدسي هو: الحديث الذي يكون لفظه للنبي ﷺ ومعناه عن الله تعالى.

الأعمال الصالحات، ظاناً أن الله لم يقبله منه، ناسياً رحمته تعالى وأنه لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى، وأن الله واسع المغفرة، كريم العطاء، غني حميد.

مقارنة بين سوء الظن بالله وحسن الظن به:

آثَارُ الظَّنِّ السَّيِّئِ: يورث في الإنسان التشاؤم من الحياة، والضجر من المسؤوليات التي فيها، فيجنح دائماً إلى التهرب منها، لأنه قد أصبح يشعر بضعف الشخصية وانحلالها، وتحطيم النفس بعد تعقُّدها، وصعوبة القيام بأبسط الأعمال، فأصيب بأخطر مرض فتّاك هو: النظرة القاتمة للحياة وأنها في نظره قد أصبحت جحيماً لا يطاق، فيعيش بقية عمره في شقاء وتعاسة، في حياة مليئة بالخطايا والآثام التي قَدْ يرتكبها وهو يعاني مرارة الآلام، ومآسي الأحزان.

فَوَائِدُ الظَّنِّ الحسن: يجعل الإنسان كامل الإيمان بربه، مراقباً له في كل حالٍ وآنٍ، يرجو رحمته مع الخشية من عقابه وعذابه، لا يغادر الأمل العظيم نفسه المشرقة الزكية، وقلبه الواسع الكبير من أن تغشاه نفحات إلهية قدسية.

فالإنسان الذي يحسن الظن بالله، يشعر بقوة الشخصية وأصالتها، ويحيا في غمرة التفاؤل بالنعيم المقيم، والسعادة في الحياتين الدنيا والآخرة، وله من جليل الأعمال، وحميد الخصال ما يبيض صفحة أعماله ووجهه، يوم تبيض وجوه وتسودّ وجوه، يوم يأتي هذا الإنسان المؤمن حاملاً كتابه بيمينه، فيقول كما قال الله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي

مُلاق حسَابيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عيشَة رَّاضيَة (٢١) فِي جَنَّة عَاليَة (٢٢) قُطُوفُهَا دَانيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَة (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِه فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَة ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ ﴾(١).

وصايا القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(٢).

وقال الرحمن الرحيم: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾(٣).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾(٤).

وقال وهو القريب من عباده: ﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٥).

---

(١) سورة: الحاقة. الآيات: / ١٩-٣٧ /.
(٢) سورة: الزمر. الآيات: / ٥٢ /.
(٣) سورة: الحجر. الآية / ٥٦ /.
(٤) سورة: يونس. الآيتان: / ٥٧-٥٨ /.
(٥) سورة: الأعراف. الآية: / ٥٦ /.

فالله تعالى هو الذي يَمُنُّ على عباده بالصلاح، ويتفضل عليهم بالرحمة، فيقول عزّ من قائل: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾(١).

بشرى الرسول ﷺ عن ربه تبارك وتعالى:

جاء في صحيح مسلم قوله: حدثنا سويد بن سعيد، عن معتمر بن سليمان عن أبيه، حدثنا أبو عمران الجوني عن جُنْدُبٍ، أن رسول الله ﷺ حدَّث أن رجلاً قال:

«والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا يَتَأَتَّى عليَّ أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رُبَّ أَشْعَثَ مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأَبَرَّهُ»(٣).

ولقد ثبت كذلك عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عَزَّ وَجَلَّ أنه يقول: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيراً»(٤).

---

(١) سورة: الأنبياء. الآيات: / ٨٦ /.

(٢) «صحيح مسلم» بشرح النووي. جـ١٦. ص / ١٧٤ /، عن (جُنْدُبٍ) رضي الله عنه.

(٣) «صحيح مسلم» بشرح النووي. جـ١٦. ص / ١٧٤ /، وفي رواية ثانية «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ..»

(٤) حديث قدسي.

١١ ـ الحب المتبادل بين الله والإنسان

معنى المحبة: هي : الميل الطبيعي للشيء، وهي الشعور الزائد بالتقدير والإحترام للمحبوب، والغاية القصوى من تنظيم الصلة بالله، وإحكام الروابط مع الله سبحانه، بالعلاقات والعوامل النفسية والروحية التي يريدهاحسب وجهة نظر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

والمحبة في الحقيقة ، هي منتهى المطاف الذي يصل إليه الإنسان في سيره، والذروة التي يرتقي إليها في السمو الروحي، فما بعد مقام المحبة من مقام، فهي أعلى درجة، وأرفع منزلة، لأنهاثمرة الصلة بالله تعالى.

والحب الذي يشعر به الإنسان نحو ربه هو ميله إليه جلّ وعلا، فإذا تأكد هذا الميل يصبح حقيقة واقعة، فيقوى تدريجياً إلى أن يصل إلى درجة سامية جداً فَيُسَمَّى بعد ذلك «العِشْقُ» الذي يملك على الإنسان شِغَافَ قلبه، فيصبح هذا العشق حباً كاملاً، يستمر في القلب الذي ينفي كل حب لما سوى الله تعالى، بعد أن يتصف بصفة الإخلاص لله عز وجل.

لذا يقول رسول الله ﷺ «من قال لا إله إلاالله مخلصاً دخل الجنة»(١). والإخلاص المقصود، ألا يبقى في القلب شيء من شرك أو وثنية لغير الله، فيكون الله سبحانه محبوباً في قلب المؤمن الذي يعبد ربه بحق وصدق وإخلاص. لهذا نقول: إن الإخلاص هو منتهى الحب المثالي، واللطيف والراقي، والنَّقي الصافي.

حقيقة المحبة: هي : ألا يتصور الإنسان المؤمن محبة إلَّا لله تعالى، وبعد معرفةٍ به ـ سبحانه ـ وإدراك لتحقيق العلم بذاته ـ جلَّ وعلا ـ .

---

(١) حديث نبوي صحيح.

ماذا ينتج عن هذه المحبة؟ : إن المؤمن الحقيقي ليجد حلاوة إيمانه بها، لأنها شرط من شروط تحقيق الإيمان. لذا يقول رسول الله ﷺ : « ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان :

- أن يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما.
- وأن يُحبَّ المرءَ لا يحبه إلا لله.
- وأن يكرَه أن يعودَ في الكفر، كما يكرُه أنْ يُقْذَفَ في النار »(١) .

حب الله للإنسان: إن الله تبارك وتعالى يحب عباده المؤمنين الصالحين، والصادقين المخلصين، الذين أحسنوا معه الصلة، تعبداً وطاعة لأوامره، واجتناباً لنواهيه، فاستحقوا هذا الفضل العظيم من الله تعالى. والدليل على صحة هذا الكلام من الكتاب والسنة ما يلي :

الدليل من القرآن الكريم:

يقول الله تبارك وتعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾(٢) .

---

(١) حديث نبوي صحيح. رواه: الإمام البخاري في صحيحه.

(٢) سورة: المائدة . الآيات : / ٥٤-٥٦ /.

الدليل من السنة النبوية

فالله العلي القدير، الوهاب المنعم، يعطي الإيمان ويمنحه، تفضلاً منه وإحساناً لعباده المصطفين الأخيار. يقول رسول الله ﷺ : « إن الله يعطي الدنيا مَنْ يحب ومَنْ لا يحب، ولا يعطي الإيمانَ إلَّا لمن يحب »(١). ويقول عليه الصلاة والسلام، فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : « لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل، حتى أُحِبَّهُ ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به . . . »(٢). ويقول الإمام الغزالي في إحيائه : « يكون تقربه بالنوافل سبباً لصفاء باطنه، وارتفاع الحجاب عن قلبه، وحصول درجة القرب من ربه، فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به »(٣).

ماهي الأسباب التي تزيد المحبة قوة وارتباطاً؟.

إن للمحبة أسباباً تدعمها وتزيدها قوة وارتباطاً ، فمن جملتها؟ :

١ ـ قوة المحبة للمحبوب: هذه التي توصل الإنسان إلى نعيم الله ورضوانه، وما أعظم نعيم الإنسان إذا قدم على محبوبه بعد طول الفراق ، واشتعال جذوة الاشتياق، فكيف به إذا حاز الوصول والقرب من ربه وخالقه بمحبة وشوق زائد، يتعاظم ولا يتناهى، ويستمر ولا ينقطع ، إلى ما شاء الله رب العالمين، بصدق وإخلاص، ونقاء وصفاء، ولم يكن هناك أحد من العالمين يُنَغِّصُ عليه تلك المحبة، أو يعكر عليه ذلك الجو السامي اللطيف، وهو

---

(١) رواه: الحاكم ، وصحح إسناده، والبيهقي في الشُعب من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) رواه: البخاري، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي جـ٤ . ص : / ٢٨١ / .

يشعر بلذه القرب، ونعيم القبول بعد الوصول،وإحكام الصلة مع الله. وهذا ما يسعى له الإنسان، ويعمل جاهداً من أجله في الدنيا.

٢ ـ قوة المعرفة بالله: معرفة يقينية منبثقة عن إيمان قوي وصحيح، ذات مفهوم واسع، وحيوية متميزة، لا تخرج عن مفهوم الشرع الإسلامي، والعقيدة السليمة، حتى يكون لهذه المعرفة النبيلة كل الاستيعاب والسيطرة والاستيلاء على القلب.

علامات حب الله للإنسان: هناك علامات كثيرة تدلنا على حب الله للإنسان المؤمن، منهامثلاً:

١ ـ الابتلاء: لقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه»(١). أي اختبره.

٢ ـ الاجتباء: «وإذا صبر اجتباه» (ومعنى اجتباه: أي: اصطفاه(٢).

٣ ـ الاصطفاء: فإن رضي «اصطفاه». واصطفاه معناها: «اختاره من بين عباده».

٤ ـ يجعل الله له قلباً واعظاً: يقول رسول الله ﷺ «أذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه، وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه»(٣)

٥ ـ يكسبه القدرة على الإصلاح: وينور الله بصيرة عبده بحيث يصبح بصيراً بعيوب النفس فيجتنبها.

---

(١) حديث نبوي صحيح.

(٢) قاموس مختار الصحاح للإمام الرازي، مادة: (ج ب ا). ص / ٩٢ /.

(٣) حديث نبوي صحيح.

٦ ـ يتولى الله أموره: إن الله تعالى يتولى أمور عبده سواء أكانت ظاهرة أم باطنة، حتى يصفو قلبه، وتشرق نفسه، وتسمو روحه.

٧ ـ يشعره بلذة المناجاة: لكي يصل إلى معرفة ربه، بعون منه، ورعاية له، ويحفظه ويلطف به.

٨ ـ ويُحِبُّ الله في الإنسان صفةَ العدل: فيما بين الناس في إصدار الأحكام، والحكم فيها لقوله تعالى:

﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾(١)

٩ ـ ويحب فيهم صفة الوفاء وصدق الوعد: بعد أن يكونوا متقين، يقول الله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾(٢).

١٠ ـ ويحب فيهم التوبة والطهارة: فيقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾(٣).

١١ ـ ويحب الله كل من يتبع هَدْيَ الرسول وشريعته، فيقول الله تعالى عن الذين يتبعون الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤمنون بكل ما جاء به، فإن الله يحبهم نتيجة لذلك، ويغفر لهم ذنوبهم أيضاً: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٤).

---

(١) سورة: المائدة الآية: / ٤٢ /.

(٢) سورة: آل عمران. الآية: /٧٦/.

(٣) سورة: البقرة. الآية: /٢٢٢/.

(٤) سورة: آل عمران. الآية: /٣١/.

١٢ ـ **ويحب الصابرين**: الذين إذا حَلَّت بهم مصيبة، أو وقعت بهم نازلة، صبروا على البلاء، واحتسبوا هذا الصبر والتحمل في سبيل الله رِضَىً بما قدَّر الله وقضاه، بكل عزم وقوة، مُسَلِّمينَ الأمرَ لله، قال تعالى: ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾(١)

١٣ ـ **ويحب الله المجاهدين**: في سبيله، الذين يقاتلون تحت قيادة مشتركة، وبإمرة قائد واحد، وفي صف واحد، كأنهم رجل واحد، تحت راية التوحيد الخالص لله تعالى، فيقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾(٢)

أسباب شقاء الإنسان في الحياة:

هناك كثير من الصفات التي لا يحبها الله ولا يريدها، كما لا يحب سبحانه المتصفين بها فإذا ما اتصف بها بعض الناس تصبح هذه الصفات أسباباً لشقائهم وتعاستهم في هذه الحياة، فقد ذكر القرآن الكريم جانباً منها، نذكرها مستدلين بالآيات كما يلي:

أ ـ **إن الله لا يحب الفساد ولا المفسدين**: ﴿ **وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾(٣).

---

(١) سورة: آل عمران. الآية: / ١٤٦ /.

(٢) سورة: الصف. الآية: / ٤ /.

(٣) سورة: القصص. الآية: / ٧٧ /.

ب ـ ولا يحب الظلم ولا الظالمين: قال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾(١).

جـ ـ ولا يحب الإسراف ولا المسرفين. قال تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾(٢).

د ـ ولا الكبرياء ولا المستكبرين: قال تعالى: ﴿ **لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ** ﴾

هـ ـ وكذلك لا يحب مِشْيَةَ الخيلاءِ والتِّيه، ولا التفاخر والتعاظم والتعالي على الناس، فيقول عزّ من قائل:

﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً** ﴾(٤).

و ـ ولا يحب الله الخيانة ولا الخائنين: قال الله تعالى: ﴿ **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** ﴾(٥).

ز ـ ولا يحب الاعتداء في كل شيء، وبصورة خاصة في الحرب والقتال، كما لا يحب المعتدين يقول الله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولاتعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** ﴾(٦).

النتيجة: ينتج مما تقدم أن الناس قسمان:

---

(١) سورة: آل عمران. الآية: /٥٧/.
(٢) سورة: الأعراف. الآية: /٣١/.
(٣) سورة: النحل. الآية: /٢٣/.
(٤) سورة: النساء. الآية: /٣٦/.
(٥) سورة: الأنفال. الآية: /٥٨/.
(٦) سورة: المائدة الآية رقم: /٨٧/.

القسم الأول: هم الجماعة المؤمنون الصادقون العالمون بشرع الله فيما يرضي الله ورسوله، ولما يتميزون به من صفات حميدة، وخصال كريمة، كما مَرَّ معنا.

القسم الثاني: فهؤلاء الناس لم ينالوا حب الله، وذلك لأنهم كفروا بالله، وأعرضوا عن دين الله ، ولما يتصفون به أيضاً من قبيح الصفات، وما يقترفونه من سيئ الأفعال.

لهذا نرى تحقيق ذلك فيما يرويه نبينا محمد رسول الله ﷺ عن ربه تبارك وتعالى فيقول: «إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل، فيقول: إني أُحِبُّ فلاناً فأحِبَّهُ، قال: فيحبُّه جبريلُ، ثم ينادي في أهل السماء، إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يُوضَعُ له القبولُ في الأرض.

وإذا أبغض عبداً، دعا جبريلَ ، فيقول : إني أَبَغْضُ فلاناً، فابْغُضْهُ، قال فيبغضهُ جبريلُ. ثم ينادي في أهل السماء، إن الله يبغض فلاناً فابغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاءُ في الأرض.»(١).

حب الإنسان لله: إن المؤمن الطائع لربه، المنفذ لأحكام شريعته، يكون أشدَّ حباً لله تعالى، ومصداق هذا ما جاء في القرآن الكريم في قوله سبحانه:

﴿ .. وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ .. ﴾(٢).

روي عن أبي رُزَيْن العقيلي قال: يارسول الله ، ما الإيمان؟ قال: «أن يكون الله،

---

(١) صحيح مسلم، جـ١٦ . ص: / ١٨٣ - ١٨٤ / .

(٢) سورة: البقرة . الآية : / ١٦٥ / .

ورسولُه أحبَّ إليك مما سواهما»(١).

ـ وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون اللهُ ورسولُه أحب إليه مما سواهما»(٢) متفق عليه.

ـ ودعا رسول ﷺ فقال: «اللهم ارزقني حبَّك، وحبَّ من أحبَّك، وحبَّ ما يقربني إلى حبِّك، واجعل حبك أحبَّ إليَّ من الماء البارد»(٣).

ـ جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: «يا رسول الله متى الساعة؟ قال: وماذا أَعْدَدْتَ لها؟ فقال: ما أعددت لها كثيرَ صلاة ولاصيام، إلَّا أنِّي أُحِبُّ اللهَ ورسولَه، فقال له رسول الله ﷺ: المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، قال: أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك»(٤). وقال أبو بكر الصديق، رضي الله عنه «من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا، وأوحشه عن جميع البشر».

علامات حب الإنسان لله: عندما يحب الإنسان رَبَّه تتجلي هذه المحبة في أمور وعلامات كثيرة منها:

أ ـ أن يحب الإنسان لقاء الله ومشاهدته يوم القيامة، فلا يتصور أن يحب القلب محبوباً، إلا ويحب مشاهدته ولقاءه.

قال عليه الصلاة والسلام: «من أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءَه»(٥). وقال

---

(١) رواه: أبو رُزَيْنٍ العُقَيْلي رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه بين: البخاري ومسلم.

(٣) حديث نبوي صحيح.

(٤) رواه: أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) حديث نبوي صحيح.

الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾(١).

وقال بعض السلف الصالح:

١ ـ «ما من خصلة أحب إلى الله من أن تكون في العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود».

٢ ـ أن يجتنب الإنسان اتباع الهوى، ونزوات الشيطان، ولا يخضع للنفس الأمارة بالسوء.

٣ ـ أن يعرض عن الكسل والخمول والجمود.

٤ ـ أن يواظب على طاعة الله تعالى، وأن يتقرب إليه مع الفرائض بالنوافل دائماً.

٥ ـ أن يلتزم بالجانب الخلقي الفاضل ويتمسك بأمهات الفضائل.

٦ ـ أن يسلك في حياته مسلك الدعاة الصالحين لهذا الدين، وأن يسير على درب الهدى والاستقامة؛ ليكون في النتيجة من عباد الله العاملين المقربين الواصلين.

٧ ـ أن يكون حُبُّ اللهِ أولاً، ثم حُبُّ رسولِهِ ﷺ ثانياً أفضلَ عند الإنسان المؤمن من حبه لآبائه وأبنآئه وإخوانه وزوجاته وعشيرته وجميع أحبابه وكذلك أفضلَ من المال والتجارة والمسكن وجميع مغريات الحياة، قال

(١) سورة: الكهف: الآية: / ١١٠ /.

الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(١).

صفات المحبين: لقد ذكر القرآن الكريم صفات المؤمنين المحبين لربهم، والذين استحقوا حب الله لهم، فهو ظاهرٌ في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٢).

خلاصة القول: من عرف الله حق المعرفة فقد أَحَبَّهُ حُبّاً تامّاً، وإذا أَحَبَّهُ عَبْدُهُ أطَاعَه، فإنه لا يعصيه بعد ذلك أبداً إن شاء الله.

(١) سورة: التوبة. الآية: / ٢٤ /.

(٢) سورة: المائدة. الآية: / ٥٤ /.

١٢ ـ الدعاء والمناجاة لله

ولذلك يجب أن نختم هذه الرسالة(١) التي نوجهها إلى كل المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات بالدعاء والمناجاة، والضراعة والابتهال إلى الله، ونسأله سبحانه وتعالى: أن يحقق لنا أسمى الدرجات، وأنبل الغايات في ديننا ودنيانا وعاقبة أمرنا، وأن يوصلنا إلى باب رحمته، حتى نفوز بقربه وفضله وإحسانه، ونسأله سبحانه وتعالى أيضاً أن ينزلنا في مقام رفيع في مقعد صدق عندمليك مقتدر، وأن يهدينا سواء السبيل دائماً وأبداً، وأن يغفر لنا خطايانا وألا يؤاخذنا بزلاتنا وهفواتنا، كما نسأله الرحمة وهو أرحم الراحمين، وأن يكتب لنا النصر المؤزر والفتح المبين، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشداً، وأن يشرح صدورنا دائماً للإسلام، والإيمان، وأن يكسبنا القدرة على العمل لخدمة عقيدة التوحيد الخالص، ونشر الإسلام في هذه الحياة من جديد، وأن يثبتنا على شرع الله وعلى الهدى والاستقامة، ما دبَّ على هذه الأرض إنسان، وفي قلبه إسلام وإيمان وقرآن.

والله تعالى يقول: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾(٢).

ويقول أيضاً: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾(٣) ولنا أن ندعو بعد

(١) هذه الرسالة: هي كتابنا هذا بعنوان: [صلة الإنسان بالله] من وجهة نظر القرآن الكريم والسنة النبوية.
(٢) سورة: غافر / ٦٠ /، وهي نفسها سورة: المؤمن.
(٣) سورة: البقرة: / ١٨٦ / .

ذلك بدعاء القرآن الكريم فنقول بقول الله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾(١).

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(٢).

﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(٣).

﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾(٤)

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٥)

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾(٦). ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾(٧).

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾(٨).

وقال تعالى ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٩).

---

(١) سورة الفاتحة. (بكاملها).
(٢) البقرة: ٢٠١ /.
(٣) البقرة: / ٢٨٦ /.
(٤) آل عمران /٨/.
(٥) الأعراف / ٢٣ /.
(٦) الكهف/ ١٠ /.
(٧) الأنبياء/ ٨٩ /.
(٨) طه: / ٢٥-٢٨ /.
(٩) الأحقاف:/ ١٥ /.

نِدَاءُ : ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١).

ولإتمام تنظيم الصلة مع الله العلي القدير، لابد أن نَرَى وُجْهَةَ نظرِ السنُّةِ أيضاً. من حيث عامل الدعاء والمناجاة، لنرى رسول الله ﷺ كيف يعلمنا، الدعاء والمناجاة لله تعالى، وهو المعلم الأول، لكي ننظم هذه الصِّلة. بتنظيم الذكر والدعاء عند النوم، وفي المسير، وفي العبادة، وغيرها، ليكون لنا خير أسوة. وخير قدوة: ﷺ.

فما هو أكثر دعاء النبي ﷺ؟: عن أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»(٢).

دعاؤه في الصلاة: فالصلاة خيرصلة واصلة بين العبد وربه سبحانه وتعالى، وهي عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هَدَمَ الدين، وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ: عَلِّمْنِي دعاءً أدعو به في صلاتي . قال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»(٣).

ويقول ﷺ «أَقْرَبُ ما يكون العبد من ربه وهو سَاجِدٌ فأكثروا الدعاء»(٤).

---

(١) الأحقاف: / ٣١ /.

(٢) «صحيح البخاري» جـ٨، ص/ ١٤٩ / الحديث رقم / ٨٠ /، برواية: أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) «صحيح البخاري» . جـ٨ ، ص/ ١٢٩ /، برواية : أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٤) حديث نبوي صحيح.

دعاؤه بعد الصلاة: عن وَرَّادٍ مولى المغيرة بن شُعْبَةَ قال: كتب المغيرة إلى معاوية بن أبي سفيان أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في دُبُر كل صلاة إذا سَلَّمَ: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لامانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجَدُّ»(١).

دعاؤه عند الكُرَب: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب فيقول: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض رب العرش العظيم».(٢).

دعاؤه عند النوم: عن البَرَاء بنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أَوَى إلى فراشه نام على شِقِّهِ الأيمن، ثم قال: «اللهم إني أسلمتُ نفسي إليك ،ووجهت وجهي إليك، وفَوَّضْتُ أمري إليك، وأَلْجَأْتُ ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا مَلْجَأَ ولامَنْجَى منك إلَّا إليك، آمَنْتُ بكتابك الذي أَنْزَلْتَ ، ونبيك الذي أَرْسَلْتَ»، وقال رسول الله ﷺ : «من قَالَهُنَّ ثم مات من ليلته مات على الفطرة»(٣).

دعاؤه في طلب المغفرة: عن أبي موسى رضي الله عنه، عن أبيه عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «رب اغفرلي خطيئتي، وجهلي وإسرافي في أمري كله، وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي خَطَايَايَ

(١) «صحيح البخاري» جـ٨ ، ص/ ١٣٠ / ، الحديث رقم / ٢٦ / ، برواية: ورَّاد مولى المغيرة بن شعبة رضي الله عنهما.

(٢) «صحيح البخاري» جـ٨ ، ص/ ١٣٥ / ، الحديث رقم / ١٢٩ / ، برواية: عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما.

(٣) «صحيح البخاري» جـ٨ ، ص/ ١٢٤ / ، الحديث رقم / ١١ / ، برواية: البراء بن عازب رضي الله عنه.

وعَمْدِي وجهلي وهزْلي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ وما أسررت وما أعلنت، أنت المُقَدِّمُ وأنت المُؤَخِّرُ، وأنت على كل شيء قدير». (١)

(١) «صحيح البخاري» جـ٨، ص/ ١٥٢ /، الحديث رقم / ٨٩ /، برواية: أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

١٣ ـ الخاتمة

ولا يسعني في هذه الخاتمة، إلاّ أن أضرع إلى الله العلي القدير أن يتقبل مني هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وخدمة لعقيدة التوحيد الخالص لله، ونشر علوم الدين ومعارفه وأحكامه، وأسأل الله تعالى أن ينفعني به، وينفع به كذلك المسلمين، وأن يجعل هذا العمل صالحاً في صحيفة أعمالي، لأن الرسول ﷺ يقول: «إذا مات ابن آدم انقطع عملهُ إلا من ثلاثٍ صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنْتَفَعُ بِه، أَوْ وَلَدٍ صالح يَدْعُو لَهُ»(١).

حمداً لله وشكراً على أن وفقني في تأليف هذا الكتاب ، وأعانني فهو نعم المعين، ومالي إلا أن أدعو وأقول : اللهم الطف بنا في قضائك، وعافنا من بلائك ، وهب لنا ماوهبته لأوليائك، وارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، إلهنا مولانا رب العالمين. ربنا تَقَبَّلْ منَّا وَاقْبَلْنَا، وعافنا واعفُ عنا، وعلى طاعتك أعنَّا، ومن شر خلقك سلِّمنا. وعلى الإيمان الكامل، والسُّنَّة جمعاً تَوَفَّنَا نَلْقَاك وأنت راضٍ عَنَّا غيرَ غضبان، واغفر اللهم لنا ولوالدينا، ولمشايخنا، وأساتذتنا، ولمن علمنا وأحسن إلينا خيراً، ولمن وصَّانا بدعاء الخير وَوَصَّيْنَاهُ، ولمن له حَقٌّ علينا، ولمن أَحَبَّنَا في الله وأحْبَبناه، ولكافة أهل الإيمان أجمعين. تَغَمَّد اللهم الجميعَ برحمتك ياسميع، بجاه نبينا محمد ﷺ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

تم بعون الله

(١) حديث نبوي صحيح.

المصادر

١ ـ إحياء علوم الدين: لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي.

٢ ـ بين الأمس واليوم: الشيخ حسن البنّا.

٣ ـ التبشير والاستعمار: الدكتور عمر فروخ، والدكتور مصطفى الخالدي.

٤ـ تجديد الفكر الإسلامي: للشاعر محمد إقبال.

٥ ـ تفسير: ابن كثير الدمشقي.

٦ ـ حياة محمد ﷺ: الدكتور حسين هيكل.

٧ ـ الرسالة القشيرية: لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري.

٨ ـ روح الدين الإسلامي: الشيخ عفيف طبارة. الطبعة الأولى. بيروت.

٩ ـ رياض الصالحين: للإمام النووي الدمشقي.

١٠ ـ «الشَّعَبُ» للبَيْهَقِيِّ.

١١ ـ صحيح البخاري: للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري. (إدارة الطباعة المنيرية).

١٢ ـ صحيح مسلم: بشرح الإمام النووي.. الطبعة الأولى ١٩٣٠ م

١٣ ـ «الصغير» للطبراني.

١٤ ـ طهارة القلوب والخضوع لعلاّم الغيوب: عبد العزيز الدريني.

١٥ ـ العبودية: شيخ الإسلام ابن تيمية، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق.

١٦ ـ فصل من كتاب «على أبواب الأبدية» تأليف الباحث الفرنسي «جورج مجلوار» ترجمة الأديب «إبراهيم المصري»، ونشرته جريدة «أخبار اليوم» المصرية. بتاريخ ٧ يناير ١٩٥٣ م.

١٧ ـ القرآن الكريم.

١٨ ـ كتاب الأصنام: ابن الكلبي.

١٩ ـ مجلة (الأزهر) : م/ ١٣ /. مقال للشيخ محمد مصطفى المراغي.

٢٠ ـ مجلة (المسلمون) : م١ ع١، مقال: للشيخ مصطفى الزرقاء (في العبادة).

٢١ ـ مختار الصحاح: للرازي.

٢٢ ـ مسند الإمام: أحمد بن حنبل.

٢٣ ـ وهناك مصادر أخرى منثورة في هوامش هذا الكتاب.

٢٤ ـ من هَدْيِ القرآن الكريم: الدكتور الشيخ محمد نمر الخطيب، اليقظة بدمشق ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠ م.

٢٥ ـ نحو إنسانية سعيدة: الشيخ محمد المبارك، مطبعة جامعة دمشق: ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م.